

التَّوَهُّمَاتُ

في وصف أحوال الآخرة

للحارث المحاسبى

نشر وتوزيع

مكتبة التراث الإسلامى

حلب - أفيول - أمام جامع أسامة



Handwritten text, possibly a title or a label, located in the middle of the page. The text is extremely faint and illegible.

Handwritten text at the bottom of the page, possibly a signature or a date. The text is extremely faint and illegible.

التقدمة

الحمد لله الذي خلق الموت ليلونا أينا أحسن عملاً والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي أمرنا أن نكثر من ذكر الموت فقال عليه الصلاة والسلام أكثروا من ذكر هادم اللذات فصلى الله عليه وعلى آله وأتباعه إلى يوم الدين .

أما بعد لقد طالمت كتاب التوهم في وصف أحوال الآخرة للحارث المحاسبي رحمه الله تعالى فأثر في نفسي تأثيراً بليغاً لأنه يتحدث عن شعور أهل النار وما يلقون قبلها وبعد الدخول فيها من أهوال وعذاب ويتحدث عن شعور أهل الجنة وما يجدون من نعيم وتكريم وثواب وبين هذا وذاك مرحلةً مرحلةً حتى لكان قارئه يراه رأي العين ويحسه احساس المباشر له بلغة عالية وبيان مؤثر يفيد قارئه خشعة وعبرة فيجمله يشعر بنفسه وكأنه هو ذلك الانسان الذي نزل به الموت بسكراته وغصصه وكربه فتاقت نفسي لطبعه وتوجه قلبي لنتحمة فاستشرت أولي الرأي من العلماء فحبذوا رأي وشجعوا سؤلي فإله أسأل أن يوفقني لخدمة الاسلام والمسلمين إنه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

ترجمة المؤلف

هو أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي ، البصري المولد ،
البغدادي المنزل والوفاة لم يعرف تاريخ ولادته ، وكانت وفاته ببغداد
سنة ٢٤٣ هـ رحمه الله تعالى .

كان رحمه الله ناسكاً عابداً ، وصوفياً زاهداً ، وفقهياً ومتكلماً
وواعظاً مبكياً علمُ المارفين في زمانه وأستاذ السائرین الجامع بين
علمي الباطن والظاهر شيخ الجنيد ويقال سُمي بالمحاسبي لكثرة
محاسبه لنفسه وكان إمام المسلمين في الفقه والتصوف والحديث والكلام .

وهو ممن عاصر الشافعي وله كتب كثيرة في الزهد وأصول
الديانة وقال جمع من الصوفية إنها تبلغ مائتي معنف ومن جملة كتبه
رسالة المسترشدين والرعاية لحقوق الله وكتابه التوهم وهو هذا الكتاب
الذي بين أيدينا فترجو الله تعالى أن ينفعنا ببركته وأن يحشرنا في
زمرته إنه سميع قريب مجيب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه وسلم .

- الناشر -

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الواحد القهار ، العظيم الجبار ، الكبير المتعال ، الذي
جعلنا للبلوى والاختبار ، وأعد لنا الجنة والنار ، فمظم لذلك الخطر ،
وطال لذلك الحزن لمن عقل وادكر ، حتى يعلم أن المصير وأين
المستقر ، لأنه قد عصى الرب وخالف المولى ، وأصبح وأمسى بين
الغضب والرضا ، ولا يدري أيها قد حل ووقع له ، فمظم لذلك غمه
وطال لذلك حزنه ، واشتد كربه حتى يعلم كيف عند الله حاله فالى
الله فارغب في التوفيق ، واياه فسل العفو في الذنوب ، وبه فاستعن
في كل الامور . فمجبت كيف تفر عينك أو كيف يزايل الوجل
والاشفاق قلبك ، وقد عصيت ربك واستوجبت بعصيانك غضبه
وعقابه ، والموت لا محالة نازل بكربه وغصصه ونزعه وسكراته ،
فكأنك قد نزل بك وشيكاً سريعاً .

فتوهم نفسك وقد صرعت للموت صرعة لا تقوم منها إلا إلى

الحشر إلى ربك ، فتوهم نفسك في نزع الموت وكرهه وغصصه
وسكراته وغمه وقلقه ، وقد بدأ الملك يجذب روحك من قدمك
فوجدت ألم جذبه من أسفل قدميك ، ثم تدارك الجذب واستحث
النزع وجذبت الروح من جميع بدنك ، فنشطت من أسفلك
متصاعدة إلى أعلاك حتى إذا بلغ منك الكرب منتهاه وعمت آلام
الموت جميع جسمك ، وقلبك وجل محزون مرتقب منتظر
للبرى من الله عز وجل بالغضب أو الرضا ، وقد علمت أنه لا يحصى
لك دون أن تسمع إحدى البريين من الملك الموكل بقبض روحك
فبينما أنت في كربك وغموك وألم الموت بسكراته وشدة حزنك
لارتقابك إحدى البريين من ربك ، إذ نظرت إلى صفحة وجه
ملك الموت بأحسن الصورة أو بأقبحها ونظرت إليه ماداً يده إلى
فيك ليخرج روحك من بدنك ، فذلك لما عاينت ذلك وعانيت
وجه ملك الموت ، وتملق قلبك بماذا يفجأك من البرى منه إذا
سمعت صوته بنغمته أبشر يا ولي الله برضا الله وثرابه أو أبشر ياعدو
الله بغضبه وعقابه ، فتستيقن حينئذ بنجاتك وفوزك ويستقر الأمر
في قلبك فتطمئن إلى الله نفسك ، أو تستيقن بعطبك وهلاكك

ويحل الاياس قلبك ونقطع من الله عز وجل رجائك وأملك فيلزم
حينئذ غاية الهم والحزن او الفرح والسرور قلبك حين انقضت من
الدنيا مدتك وانقطع منها أترك وحملت إلى دار من سلف من
الأمم قبلك

فتوهم نفسك حين استطار قلبك فرحاً و سروراً ، أو ملى
حزناً وعبرة ، وبفترة القبر وهو مطلعهم وروعة الملاكين وسؤالهما
فيه عن إيمانك بربك ، فثبت من الله جل ثناؤه بالقول الثابت أو
متحير شاك مخذول .

فتوهم أصواتهما حين يناديانك لتجاسس أسؤالهما إياك ليوقفاك
على مسألتها ، فتوهم جاستك في ضيق الحدك ، وقد سقطت
أكفانك على حقوبك والقطنه من عينيك عند قدميك فتوهم
ذلك ثم شخوصك ببصرك إلى صورتها وعظم أجسامها ، فإن
رأيتها بحسن الصورة أيقن قلبك بالفوز والنجاة ، وإن رأيتها بقبح
الصورة أيقن قلبك بالهلاك والعطش . فتوهم أصواتها وكلامها
بنغماتها وسؤالها ، ثم هو تثبيت الله إياك إن ثبتك أو تحبيره إن
خذلك .

فتوم جوابك باليقن او بالتحير أو بالتلديد والشك ، وتوم
اقبالهما عليك إن ثبتك الله عز وجل بالسرور وضربهما بأرجلها
جوانب قبرك بانفراج القبر عن النار بضعفك . ثم توم وهي تتأجج
بحريقها ، واقبالهما عليك بالقول ، وأنت تنظر إلى ما صرف الله
عك فيزداد لذلك قلبك سروراً وفرحاً وتوقن بسلامتك من النار
بضعفك . ثم توم ضربهما بأرجلها جوانب قبرك وانفراجه عن
الجنة بزيتها ونعيمها وقولهما لك : يا عبد الله انظر إلى ما أعد الله
لك ، فهذا منزلك وهذا مصيرك . فتوم سرور قلبك وفرحك بما
عانت من نعيم الجنان وبهجة ملكها وعلمك أنك صائر إلى ما عانيت
من نعيمها وحسن بهجتها . وإن تكن الأخرى فتوم خلاف ذلك
كله من الانتهار لك ومن ماينتك الجنة وقولهما لك : انظر إلى
ما حرمك الله عز وجل ، وماينتك النار وقولهما لك : انظر إلى ما
أعد الله لك ، فهذا منزلك ومصيرك فأعظم بهذا خطراً ، وأعظم
به عليك في الدنيا غمًا وحزنًا حتى تعلم أى الحالتين في القبر حالك ،
ثم الفناء والبلاء بعد ذلك ، حتى تنقطع الأوصال فتفنى عظامك ويلى
بدنك ولا يبلى حزن البشرى أو الفرح من روحك متوقع

روحك (؟) متطلع للقيام عند النشور إلى غضب الله عز وجل وعقابه ، أو إلى رضا الله عز وجل وثوابه ، وأنت مع توقع ذلك معروضة روحك على منزلك من الجنة أو مأواك من النار ، فياحسرات روحك وغمومها ، وياغبطها وسرورها حتى إذا تكاملت عدة الموتى وخلت من سكانها الأرض والسماء فصاروا خاملين بعد حركاتهم ، فلا حس يسمع ، ولا شخص يرى وقد بقي الجبار الأعلى كما لم يزل أزلياً واحداً منفرداً بعظمته وجلاله ، ثم لم يفجأ روحك إلا بنداء المنادي لكل الخلائق معك للعرض على الله عز وجل بالذل والصغار منك ومنهم .

فتوهم كيف وقع الصوت في سامعك وعقلك وتفهم بعقلك بأنك تدعى إلى العرض على الملك الأعلى فطار فؤادك وشاب رأسك للنداء لأنها صبيحة واحدة بالعرض على ذي الجلال والاکرام والعظمة والكبرياء ، فبينما أنت فزع للصوت إذ سمعت بانفراج الأرض عن رأسك ، فوثبت مغبراً من قرنتك إلى قدمك بنجار قبرك ، قائم على قدميك شاخص ببصرك نحو النداء ، وقد ثار الخلائق كلهم معك ثورة واحدة وهم مغبرون من غبار الأرض التي طال

فيها بلاؤهم فتوهم ثورتهم بأجمعهم بالرعب والفرع منك ومنهم ،
فتوهم نفسك بعريك ومذلتك وانفرادك بخوفك وأحزانك
وغموك وهمومك في زحمة الخلائق ، عراة حفاة صموت أجمعون
بالذلة والمسكنة والخافة والرهبنة ، فلا تسمع إلا همس أقدامهم
والصوت لمدة المنادى ، والخلائق مقبلون نحوه وأنت فيهم مقبل
نحو الصوت ، ساع بالخشوع والذلة ، حتى إذا وافيت الموقف
ازدحمت الأئمة كلها من الجن والانس عراة حفاة ، قد نزع الملك
من ملوك الارض ولزمتهم الذلة والصفار ، فهم أذل أهل الجمع
وأصغرهم خلقة وقدراً بعد عتوهم وتجبرهم على عباد الله عز وجل في
أرضه . ثم أقبلت الوحوش من البراري وذرى الجبال منكسة
رؤوسها لذلك ذليلة ليوم القيامة بمدتو حشبار انفرادها من الخلائق ذليلة
ليوم النشور لغير بلية نابتها ولا خطية أصابتها ، فتوهم اقبالها بذلها
في اليوم العظيم ليوم العرض والنشور ، وأقبلت السباع بعد ضراوتها
وشهامتها منكسة رؤوسها ذليلة ليوم القيامة حتى وقفت من وراء
الخلائق بالذل والمسكنة والانكسار للملك الجبار ، وأقبلت الشياطين
بعد عتوها وتمردتها خاشمة لنذل العرض على الله سبحانه ، فسبحان

الذي جمعهم بعد طول البلاء واختلاف خلقهم وطبائعهم وتوحش
بعضهم من بعض قد أذهلهم البعث وجمع بينهم النشور حتى إذا
تكاملت عدة أهل الأرض من إنسها وجننها وشياطينها ووحوشها
وسباعها وأنعامها وهوامها ، واستووا جميعاً في موقف العرض
والحساب تناثرت نجوم السماء من فوقهم وطمست الشمس والقمر
وأظلمت الأرض بنحمود سراجها واطفاء نورها فيينا أنت والخلائق
على ذلك إذ صارت السماء الدنيا من فوقهم ، فدارت بعظمها من فوق
رؤوسهم ، وذلك بعينك تنظر إلى هول ذلك ، ثم انشقت بغلظها
خمسائة عام ، فياهول صوت انشقاقها في سمعك ثم تمزقت وانفطرت
بعظيم هول يوم القيامة والملائكة قيام على أرجائها وعي حافات
ما يتشقق ويتفطر ، فما ظنك بهول تشقق فيه السماء بعظمها ، فأذاها
ربها حتى صارت كالفضة المذابة يخالطها صفرة لفرع يوم القيامة ،
كما قال الجليل الكبير : فصارت وردة كالدهان ، ويوم تكون السماء
كالهبل وتكون الجبال كالعين (فقال المفسرون إن المهل هي الفضة
المذابة يخالطها صفرة ، وإن العين هو الصوف المنقوش ، وقوله
وردة كالدهان كلون الفرس الورد) فيينا ملائكة السماء الدنيا على

حافظها إذ انحدروا محشورين إلى الأرض للعرض والحساب ،
وانحدروا من حافظيها بمظم أجسامهم وأخطارهم وعلو أصواتهم
بتقديس الملك الأعلى الذي أنزلهم محشورين إلى الأرض بالذلة
والمسكنة للعرض عليه والسؤال بين يديه فتوهم تحدرهم من
السحاب بمظيم أخطارهم وكبير أجسامهم وهو أصواتهم وشدة
فرقهم منكسين لذل العرض على الله عز وجل كما حدثني يحيى بن
غيلان الأحملي قال ، حدثنا رشيد بن سعيد عن أبي السمع عن
أبي قبيل عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ انه قال :
لله ملك ما بين مواقي عينيه الى آخر شفره مسيرة مائة عام ، فيالفرعك
وقد فزع الخلائق مخافة ان يكونوا أمروا بهم ، ومسئلتهم اياهم :
أفيكم ربنا ؟ ففزع الملائكة من سؤالهم إجلالاً لملكهم أن يكون
فيهم ، فنادوا بأصواتهم تنزيهاً لما توهمه أهل الأرض : سبحان ربنا
ليس هو بيننا فهو آت ، حتى أخذوا مصافهم محذقين بالخلائق
منكسين رؤوسهم لذل يومهم فتوهمهم ، وقد تسربلوا بأجنحتهم
ونكسوا رؤوسهم في عظم خلقهم بالذل والمسكنة والخشوع لربهم ،
ثم كل شيء على ذلك وكذلك إلى السماء السابعة كل أهل السماء

مضمفين بالمدد، وعظم الأجسام، وكل أهل سماه محدقين بالخلائق
صفاً واحداً، حتى إذا وافى الموقف أهل السموات السبع
والأراضين السبع كسيت الشمس حر عشر سنين وأذيت من
رؤوس الخلائق قاب قوس أو قوسين، ولا ظل لآحد إلا ظل عرش رب
العالمين، فن بين مستظل بظل العرش، وبين مضحو بحر الشمس،
قد صهرته بحرها وأشد كربه وقلقه من وهجها، ثم ازدحمت
الأمم وتدافعت، فدفع بعضها بعضاً وتضايقت فاختلفت الأقدام
وانقطعت الأعناق من العطش واجتمع حر الشمس ووهج أنفاس
الخلائق وتراحم أجسامهم، ففاض العرق منهم سائلاً حتى استنقع
على وجه الأرض ثم على الأبدان على قدر مراتبهم ومنازلهم عند الله
عز وجل بالسعادة والشقاء، حتى إذا بلغ من بعضهم العرق كميته،
وبعضهم حقويه، وبعضهم إلى شحمة أذنيه، ومنهم من قد كاد أن
يغيب في عرقه ومن قد توسط العرق من دون ذلك منه - عن عمير
بن سعيد قال: جلست إلى ابن عمرو وأبي سعيد الخدري، وذلك
يوم الجمعة فقال أحدهما لصاحبه: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول:
إن يبلغ العرق من ابن آدم يوم القيامة؟ فقال أحدهم: شحمة

أذنيه ، وقال الآخر : يلجمه . فقال ابن عمر : هكذا وخط من فيه إلى شحمة أذنيه ، فقال : ما أرى ذلك إلا سواء . عن خيشمه عن عبد الله قال : الأرض كلها نار يوم القيامة ، والجنة من ورأها يرون كواعبها ، والذي نفس عبد الله بيده إن الرجل ليفيض عرقاً حتى تسيح في الأرض قامته ، ثم يرتفع حتى يبلغ أنفه ، وما مسه الحساب قال فقالوا : مما ذلك يا أبا عبد الرحمن ؟ قال فقال : مما يرى الناس يلقون . عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : إن الرجل (وقال علي صرة إن الكافر) ليقوم يوم القيامة في بحر رشحه إلى أنصاف أذنيه من طول القيام عن عبد الله رفته إلى النبي ﷺ إن الكافر يلجم بمرقه يوم القيامة من طول ذلك اليوم (وقال علي من طول القيام قالاً جميعاً) حتى يقول رب أرحني ولو إلى النار - وأنت لا محالة أحدم ، فتوهم نفسك لكربك وقد علاك العرق وأطبقت عليك الغم وضائق نفسك في صدرك من شدة العرق والفرع والرعب ، والناس معك منتظرون لفصل القضاء إلى دار السعادة أو إلى دار الشقاء ، حتى إذا بلغ المجهود منك ومن الخلائق منتهاه وطال وقوفهم لا يكلمون ولا ينظرون في أمورهم ، فما ظنك بوقوفهم

ثلاثمائة عام لا يأكلون فيه أكلة ولا يشربون فيه شربة ولا يلفح
وجوههم روح ولا طيب نسيم ، ولا يستريحون من تعب قيامهم
ونصب وقوفهم حتى بلغ الجهد منهم مالا طاقة لهم به - عن قتادة
أو كعب ، قال يوم يقوم الناس لرب العالمين قال : يقومون مقدار
ثلاثمائة عام ، قال سمعت الحسن يقول : ما ظنك بأقوام قاموا لله عز
وجل على أقدامهم مقدار خمسين ألف سنة لم يأكلوا فيها أكلة ولم يشربوا
فيها شربة حتى إذا انقطعت أعناقهم من العطش واحترقت أجوافهم
من الجوع انصرف بهم الى النار فسقوا من عين آية قد آن حرها
واشدد نفعها ، فلما بلغ المجهود منهم مالا طاقة لهم به كلّم بعضهم
بعضاً في ظلم من يكرم على مولاه أن يشفع لهم في الراحة من
مقامهم وموقفهم لينصرفوا إلى الجنة أو إلى النار من وقوفهم
ففرعوا إلى آدم ونوح ومن بعده إبراهيم ، وموسى وعيسى من بعد
إبراهيم ، كلهم يقول لهم : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب
قبلة مثله ولا يغضب بعده مثله فكلمهم يذكر شدة غضب ربه عز
وجل وينادي بالشفل بنفسه فيقول . نفسي نفسي ، فيشتغل بنفسه
عن الشفاعة لهم إلى ربهم لاهتمامه بنفسه وخلصها وكذلك

يقول الله عز وجل : يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها فلم يحاس
من الخلائق أحداً .

فتوم أصوات الخلائق وهم ينادون بأجمعهم ، منفرد كل واحد
منهم بنفسه ينادي : نفسي نفسي ، فلا تسمع إلا قول نفسي نفسي .
فيا هول ذلك وأنت تنادي معهم بالشغل بنفسك والاهتمام بخلصها
من عذاب ربك وعقابه ، فاطنك بيوم ينادي فيه المصطفى آدم ،
والخليل ابراهيم ، والكليم موسى ، والروح والكلمة عيسى مع
كرامتهم على الله عز وجل وعظم قدر منازلهم عند الله عز وجل ، كل
ينادي : نفسي نفسي ، شفقاً من شدة غضب ربه ، فأين أنت منهم
في إشفاقك في ذلك اليوم واشتغالك بذلك اليوم ، وبحزنك
وبخوفك؟ حتى إذ أيسى الخلائق من شفاعتهم لما رأوا من اشتغالهم
لأنفسهم أنوا النبي محمداً ﷺ فسألوه الشفاعة إلى ربهم فأجابهم
إليها ، ثم قام إلى ربه عز وجل واستأذن عليه فأذن له ثم خر لربه
ساجداً ثم فتح عليه من محامده والثناء عليه لما هو أهله ، وذلك
كله بسمعك وأسماع الخلائق حتى أجابه ربه عز وجل إلى

تعجيل عرضهم ، والنظر في أمورهم . فبينما أنت مع الخلائق
في ظلم القيامة وشدة كربها منتظر متوقع لفصل القضاء
والحلول في دار النعيم أو الحزن إذ سطع نور العرش وأشرقت
الأرض بنور ربها ، وأيقن قلبك بالجبار ، وقد أتى لمرضك
عليه حتى كأنه لا يعرض عليه أحد سواك ، ولا ينظر إلا في
أمرك - عن حميد بن هلال ، قال : ذكر لنا أن الرجل
يدعى يوم القيامة إلى الحساب فيقال : يا فلان بن فلان هلم
إلى الحساب ، حتى يقول ما يراد أحد غيري مما يحضر به من
الحساب - ثم نادى : يا جبريل اثني بالنار ، فتوهما وقد أتى
جبريل فقال لها : يا جهنم أجيبي ، فتوهم اضطرابها وارتعابها
بفرقها أن يكون لله عز وجل خلق خلقاً يعذبها به ، فتوهما
حين اضطربت وفازت ونارت ، ونظرت إلى الخلائق من بعد
مكانها فشبهت إليهم وزفرت نحوهم وجذبت خزانها متبوشة
على الخلائق غضباً لغضب ربها على من خالف أمره وعصاه ،
فتوهم صوت زفيرها وشهيقها ، وترادف قضيبها ، وقد امتلأ منه
سمعك ، رارتع له فؤادك وطار فزعاً ورعباً ، ففر الخلائق هرباً

من زفيرها على وجوههم ، وذلك يوم التنادى ، لما سمعوا بدوي
زفيرها ولوا مدبرين وتساقطوا على ركبهم جثاة حول جهنم
فأرسلوا الدموع من أعينهم .

فتوهم اجتماع أصوات بكاء الخلائق عند زفيرها وشيقها
وينادى الظالمون بالويل والشور ، وينادى كل مصطفى وصديق
ومنتخب وشهيد ومختار وجميع العوام : نفسي نفسي ، فتوهم
أصوات الخلائق الأنبياء فن دون كل عبد منهم ينادي : نفسي
نفسى وأنت قائلها ، فبينما أنت مع الخلائق في شدة الأهوال
ووجل القلوب إذ زفرت الثانية فيزداد رعبك ورعبهم وخوفك
وخوفهم ، ثم زفرت الثالثة فتساقط الخلائق لوجوههم وتشخص
بأبصارهم ينظرون من طرف خاشع خفي خوفاً أن تلفهم فتأخذهم
بحريقها ، وانتصفت عند ذلك قلوب الظالمين فبلغت لدى الحناجر
كاظمين فكظموا عليها وقد غصت في حلوقهم وطارت الأبواب
وذهلت العقول من السعداء والأشقياء أجمعين فلا يبقى رسول
ولا عبد صالح مختار إلا ذهب لذلك عقله فأقبل الله عز وجل عند

ذلك على رسله وهم أكرم الخلائق عليه وأقربهم إليه لأنهم الدعاة
 إلى الله عز وجل والحجة على عباده، وهم أقرب الخلائق إلى الله
 عز وجل في الموقف وأكرمهم عليه، فيسألهم عما أرسلهم به إلى
 عباده وماذا ردوا عليهم من الجواب فقال لهم: ماذا أجبتم؟ فردوا
 عليه الجواب عن عقول ذاهلة غير ذاكرة فقالوا: لا علم لنا
 إنك أنت علام الغيوب فأعظم به من هول تبائع من رسل الله
 عز وجل في قربهم منه وكرامتهم حتى أذهل عقولهم، فلم يعلموا
 بماذا أجابتهم أمهم - عن أبي الحسن أدمشقي، قال قلت لأبي
 قره الأزددي: كيف صبر قلوبهم على أهوال يوم القيامة؟ قال:
 إنهم إذا بعثوا خلقوا خلقة يقولون عايبها. قال أبو الحسن قلت
 لاسحق بن خلف قول الله عز وجل للرسول: ماذا أجبتم قالوا
 لا علم لنا، أليس قد علموا ما ردد عليهم في الدنيا؟ قال: من عظم
 هول السؤال حين يسألون طاشت عقولهم فلم يدروا أي شيء
 أجبوا في الدنيا، فهم صادقون حتى تجلى عنهم بعد، فعرفوا ما
 أجبوا، قال: فحدثت به أبا سليمان، فقال: صدق اسحق هم في
 ساعتهم تلك صادقون، حتى تجلى عنهم فعرفوا ما أجبوا، فقال

أبو سليمان : إذا سمعت الرجل يقول لصاحبه بني وبينك الصراط
 فاعلم أنه لا يعرف الصراط ولو عرفه ما اشتهى أن يتعلق بأحد ،
 فلا يتعلق أحد . عن مجاهد في قوله : يوم يجمع الله الرسل فيقول
 ما أحببتم ، قال فيفزعون فيقولون : لا علم لنا . عن مجاهد في قول
 الله عز وجل : وترى كل أمة جاثية أي مستوفزين على الركب ،
 قال سمعت عبد الله يقول ، قال رسول ﷺ : كأي أراكم بالكوم
 جاثين دون جهنم ، قال سمعت عبد الله بن عمر يقول ، قال رسول
 الله ﷺ : من أحب أن ينظر إلى يوم القيامة فليقرأ إذا الشمس
 كورت ، وعن عمرو بن ذر قال : من غدا يلتمس الخير وجد
 الخير ، أعلي يحملون جهود أعينكم وقسوة قلوبكم ؛ احموا العي
 على أن لم أسمعكم اليوم واعظاً من كتاب الله عز وجل ثم قرأ
 إذا الشمس كورت وإذا النجوم انكدرت وإذا الجبال سيرت
 - حتى إذا بلغ - علمت نفس ما احضرت (او قال حتى ختمها) ،
 قال ثم قال : اسمعوا الي يا عرض الدنيا - فأين أنت منهم في
 ذلك الموقف ؟ هل تطمع ان يبلغ بك الهول ما بلغ منهم بل
 اعظم مما بلغ منهم مالا يطيقه قلبك فلا يقوم به بدئك فهذه عقولهم

ذاهلة في ذلك الموقف ، فكيف بعقلك وما حل بك وانت
الخاطى العاصي الممادي فيما يكره ربك عز وجل ؟

فتوهم نفسك لذلك الخوف والفرع والرعب والغربة والتخير
اذا تبرأ منك الولد والوالد والايخ والاصحاب والعشائر وفررت أنت
منهم اجمعين ، فكيف خذلتهم وخذلوك ، ولولا عظم هول ذلك
اليوم ما كان من الكرم والحفاظ ان تفر من أمك وايبك
وصاحبتك وبنيك وأخيك ، ولكن عظم الخطر واشتد الهول
فلا تلام على فرارك منهم ولا يلامون ولم تخصصهم بالفرار دون
الاقرباء لبغضك إياهم ، وكيف تبغضهم او يبغضونك ، وكيف
خصصتهم بالفرار منهم ، تبغضهم وانهم لهم الذين كانوا في الدنيا
مؤانسيتك وقررة عينك وراحة قلبك ، ولكن خشيت أن يكون
لاحد عندمنهم تبعه فيتعاقبك حتى يخاصمك عند ربك عز وجل ،
ثم لعله ان يحكم له عليك فيأخذ منك ما ترجو ان تنجو به من
حسناتك فيفرقك منها فتصير بذلك الى النار . فبينما أنت في ذلك
إذ ارتفعت عنق من النار فنظقت بلسان فصيح بمن وكلت

بأخذهم من الخلائق بغير حساب ، ثم أقبل ذلك العنق فيقطعهم
لقط الطير الحب ثم انطوت عليهم فألقتهم في النار فابتلعهم ، ثم
خنست بهم في جهنم فيفعل ذلك بهم ، ثم ينادي منادٍ : سيعلم
أهل الجمع من اولى بالكرم ليقم الحمادون لله على كل حال ،
فيقومون فيسرحون إلى الجنة ثم يفعل ذلك بأهل قيام الليل ،
ثم بمن لم يشغله تجارة الدنيا ولا بيعها عن ذكر مولاه حتى اذا
دخلت هذه الفرق من أهل الجنة والنار ، ثم تطايرت الكتب
في الايمان والشك والوضوء والموازين ، فتوهم الميزان بمظنه منصوباً
وتوهم الكتب المتطايرة وقلبك واجف متوقع ابن يقع كتابك
في عينك أو في شمالك - عن الحسن أن رسول الله ﷺ كان
رأسه في حجر عائشة فعمس ، فتذكرت الآخرة ، فبكت
فسالت دموعها على خد النبي ﷺ ، فاستيقظ بدموعها فرفع
رأسه ، فقال : ما يبكيك يا عائشة ؟ فقالت : يا رسول الله ذكرت
الآخرة ، هل تذكرون اهليكم يوم القيامة ؟ قال : والذي نفسي
بيده في ثلاث مواطن فان أحداً لا يذكر إلا نفسه : إذا وضعت
الموازين ووزنت اعمال بني آدم عند الموازين حتى ينظر أيخف

ميزانه أم يثقل ، وعند الصحف حتى ينظر ايمينه بأخذ أم
بشماله ، وعند الصراط . عن أنس بن مالك قال : يؤتى بان آدم
يوم القيامة حتى يوقف بين كفتي الميزان ويوكل به ملك فان ثقل
ميزانه نادى الملك بصوته بسمع الخلائق : سعد فلان بن فلان
سعادة لا يشقى بعدها أبداً ، وإن خف ميزانه نادى الملك بصوته
بسمع الخلائق : شقي فلان بن فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبداً ،
فبينما أنت واقف مع الخلائق إذ نظرت إلى الملك وقد أمر ان
يحضر بالزبانية فاقبلوا بأيديهم مقامع من حديد عليهم ثياب من النار ،
فلما رأيتهم فهبتهم طار قلبك فرعاً ورعباً ، فبينما أنت كذلك إذ
نودي باسمك فنوديت على رؤوس الخلائق الا لئلين والآخرين :
اين فلان بن فلان ؟ هل الى العرض على الله عز وجل وقد وكل
الملائكة بأخذك حتى يقربوك إلى ربك فلم يمنعها اشتباه الاسماء
باسمك أن تعرفك لما ترى بك انك المراد بالدعاء المطلوب - قال
حدثنا طلحة بن عمرو قال ، قال لي عطاء بن أبي رباح : يا طلحة
ما أكثر الاسماء على اسمك وما أكثر الاسماء على اسمي ، فإذا
كان يوم القيامة قيل يا فلان فقام الذي يعني لا يقوم غيره لما لزم

قلبك من العلم - فوثبت على قدميك ترتعد فرائصك وتضطرب
 جوارحك متغير لونك فزع مرعوب مرتكض قلبك في صدرك
 بالخفقان ، فلما عاينت الملائكة الموكلون بأخذك قد حل بك
 الاضطراب بالارتعاد والخافة علمت انك أنت المراد من العباد
 فأهوت اليك بأيديها فقبضت عليك بعنفها ثم جذبتك إلى ربك
 عز وجل كما تجذب الدواب المنقادة تتخطى بك الصفوف محوثا
 إلى العرض على الله عز وجل والوقوف بين يديه ، وقد رفع الخلائق
 اليك أبصارهم وأنت مجذب إلى ربك عز وجل فيما بينهم .

فتوم حين وقفت بالاضطراب والارتعاد يرعد قلبك ، وتوم
 مباشرة ايديهم على عضديك وغازا كفههم حين أخذوك ، فتوم
 نفسك محوثة في أيديهم وتوهم تحطيك الصفوف ، طائر فؤادك
 متخلع قلبك ، فتوهم نفسك في أيديهم كذلك حتى انتهى بك
 إلى عرش الرحمن فقفوا بك من أيديهم ، وناداك الله عز وجل
 بعظيم كلامه : أدن مني يا ابن آدام ، فغيبك في نوره ، فوقفت
 بين يدي رب عظيم جليل كبير كريم بقلب خافق محزون ووجل

مرعوب ، و طرف خائف ، خاشع ذليل ، ولون متغير ، وجوارح
مرتعدة مضطربة ، كالحمل الصغير حين تلده أمه ، ترتعد بيدك
صحيفة محبرة لا تغادر بلية كسبتها ولا مخبأة اسررتها ، فقرأت
ما فيها باسان كليل وحجة داحضة وقلب منكسر فسكمت لك من
حض وخجل وجبن من المولى الذي لم يزل إليك محسناً و عليك
ساتراً فأبى لسان تجيبه حين يسألك عن قبيح فعلك ، وعظيم
جرمك وبأى قدم تقف غداً بين يديه ، وبأى نظر تنظر إليه ،
وبأى قلب تحمل كلامه العظيم الجليل ومساءلته وتوبيخه فتقوم
نفسك بصغر جسمك ، وارتعاد جوارحك ، وخفقان قلبك ، وقد
سمعت كلامه بتذكير ذنوبك . و اظهر مساوئك ، وتوقفك
وتقريرك بمخباتك ، فتوهم نفسك بهذه الهيئة والاهوال بك
محدثك من خلفك فكلم من بلية قد نسيتهما ، قد ذكر كها ، وكم
من سريرة قد كنت كتمتها قد اظهرها وأبداها وكم من عمل
قد ظننت أنه قد خلاص لك وسلم بالغفلة منك إلى ميل الهوى
عما يفسده قد رده في ذلك الموقف عليك واحبطه ، بعد ما كان
تأملك فيه عظيماً ، فباحسرات قلبك وتأسفك على ما فرطت في

طاعة ربك ، حتى إذا كرر عليك السؤال بذكر كل بلية
 ونشر كل مخبة فأجهدك الكرب ، وبلغ منك الحياء منتهاه لأنه
 الملك الأعلى فلا حياء يكون من أحد أعظم من الحياء منه لانه
 القديم الأول الباقي الذي ليس له مثل ، المحسن المتعطف المحن
 الكريم الجواد المنعم المتطول ، فاظنك بسؤال من هو هكذا
 ابان عن مخالفتك إياه ، وقلة هيبتك له ، وحيائك منه ، ومبارزتك
 له ، فاظنك بتذكيره إياك مخالفته وقلة اكرائك في الدنيا
 بالطافه عليك ونظرك إليه ، إذ يقول : يا عبدي اما اجلتني اما
 استحييت مني إستخفت بنظري إليك ، ألم أحسن إليك ، ألم انعم
 عليك ، ما غرك مني ، شبابك فيم أبليته وعمرك فيم أفنيته ، ومالك
 من أين اكتسبته ، وفيم أنفقته ، وعملك ماذا عملت فيه ؟ - قال :
 قال رسول الله ﷺ : ما منكم من احد إلا سيسائله رب العالمين ،
 ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان قال سمعت عدى بن حاتم قال ،
 شهدت رسول الله ﷺ في حديث له : ليقفن أحدكم بين يدي
 الله تبارك وتعالى ليس بينه وبينه حجاب يحجبه ولا بينه وبينه
 ترجمان يترجم عنه فيقول : ألم اوتك مالاً؟ فيقولن : بلى ، فيقول :

ألم ارسل اليك رسولاً ؛ فلا يرى إلا النار ، فليتنق آلام النار
ولو بشق تمرّة فان لم يجد فبكلمة طيبة . قال : سمعت عبد الله بن
مسمود بدأ باليمين قبل الحديث ، فقال : ما منكم من أحد إلا
سيخلو الله عز وجل به ، كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر (أو قال
للكلمة) ، ثم يقول : يا ابن آدم ما غرك بي ، يا ابن آدم ما عملت
فيما علمت ، يا ابن آدم ماذا أجبتم المرسلين . عن ابن مسعود أنه
بدأ باليمين ، فقال : والله ما منكم من أحد إلا سيخلو به الله عز
وجل كما يخلو احدكم بالقمر يراه ثم يقول : يا ابن آدم ما غرك بي ،
يا ابن آدم ما عملت لي ، يا ابن آدم ما استحييت مني ، يا ابن آدم
ماذا أجبتم المرسلين ، يا ابن آدم ألم أكن رقيباً على عينيك وأنت
تنظر بهما إلى ما لا يحل لك ، ألم أكن رقيباً على أذنيك وأنت
تستمع بهما إلى ما لا يحل لك ، ألم أكن رقيباً على لسانك وأنت
تنطق بما لا يحل لك ، ألم أكن رقيباً على رجلك وأنت تمشي
بهما إلى ما لا يحل لك ، ألم أكن رقيباً على قلبك وأنت تهتم بما لا
يحل لك ؛ أم انكرت قربي منك وقدرتي عليك وأنت يا ابن آدم
بين خطرين عظيمين : أما ان يتلافك برحمته ويتطول عليك بجوده ،

وأما ان يناقشك الحساب ، فيأمر بك إلى الهاوية وبأس المصير .
عن مجاهد قال : لا يزول قدم عبد يوم القيامة من بين يدي الله
عز وجل حتى يسأله عن أربع خصال : عن عمره فيما أفناه ، وعن
عمله ما عمل فيه ، وعن جسده فيما أبلاه ، وعن ماله من أين
أكتسبه وفيما أفقه فما ظنك بنفسك وضعف قلبك ، والله عز
وجل يكرر عليك ذكر احسانه إليك ، ومخالفتك له ، وقلة
حياتك منه ، فأعظم به موقفاً وأعظم به من سأل لا تخفى عليه
خافية ، وأعظم بما يداخلك من الحزن والغم والتأسف على ما فرطت
في طاعته وركوبك معصيته ، فاذا تبالغ فيك الجهد من الغم
والحزن والحياء بدا لك منه أحد الامرين : الغضب أو الرضا
عنك والحب لك فاما ان يقول : يا عبدي أنا سترتها عليك في
الدنيا وأنا اغفرها لك اليوم ، فقد غفرت لك كبير جرمك
وكثير سيئاتك ، وتقبلت منك يسير إحسانك ، فيستطير بالسرور
والفرح قلبك فيشرق لذلك وجهك ، فتوهم نفسك حين قالها لك
فابتدأ اشراق السرور ونوره في وجهك بعد كآبته وتكسفه من
الحياء من السؤال والحصر من ذكر مساوىء فعلك ، فاستبدلت

بالكآبة والحزن سروراً في قلبك ، فأسفر وجهك وأبيض لونك
 فتوم رضاه عنك حين سمعته منه فثار في قلبك ، فامتلاً سروراً
 وكدت أن تموت فرحاً وتطير سروراً ، ويحق لك . فأبي سرور
 أعظم من السرور والفرح برضا الله عز وجل ، فوالله تعالى لو
 أنك مت فرحاً في الدنيا حين توم رضاه في الآخرة لكنت
 بذلك حرياً ، وإن كنت لم تستيقن برضاه في الآخرة ، ولكن
 آملاً لذلك ، فكيف بك مستيقناً له في الآخرة ، ولو توهمت
 نفسك ، وقد بدا لك منه الرحمة والمغفرة كنت حقيقاً أن تطير
 روحاً من بدنك فرحاً ، فكيف إن لو قد سمعت من الله عز
 وجل الرضا عنك والمغفرة لك فأمن خوفك وسكن حذرك ،
 وتحقق أملك ورجاؤك بخلود الأبد ، وأيقنت بفوزك ونعيمك
 أبداً لا يفنى ولا يبيد بغير تنقيص ولا تكذيب فتوم نفسك بين
 يدي الله عز وجل ، وقد بدا لك منه الرضا ، وطار قلبك فرحاً ،
 وأبيض وجهك ، وأشرق وأثار وأحال عن خلاته ، فصار كأنه
 القمر ليل البدر ، ثم خرجت على الخلائق مسروراً بوجه مجبور
 قد حل به أكمل الجمال والحسن ، يسطع نوراً مشرقاً بتلاوته

تخطّطام بالجمال والحسن والنور والضياء كتابك يمينك ، أخذ
بضميـك ملك ينادي على رؤوس الخلائق : هذا فلان بن فلان
سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً ، لقد شـرك ربك عز وجل
بالرضا عنك عند خلقه ، ولقد حقق حسن ظن الظانين وأبطل
تهم المتهمين لك ، وإن في هذه المنزلة غدا على رؤوس الخلائق
لَعَوْضًا من المنزلة عند العباد بطاعته والتصنع لهم زهداً في
المنزلة عندهم ، والتمظيم عندهم بطاعة ربه عز وجل بصدق
معاملته وحده لا شريك له ، عوضك المنزلة الكبرى على رؤوس
الخلائق فشرك برضاه عنك وموالاة إياك ، فتوهم نفسك وأنت
تخطى الخلائق ، وكتابك في يمينك بجمال وجهك ونوره ، وفرح
قلبك وسروره ، وقد شخصت أبصارهم إليك غيظة لك وتأسفاً
على أن ينالوا من الله عز وجل ما نلت ، فليعظم من الله عز وجل
في طلب ذلك أملك ورجاؤك فانه عز وجل إن تفضل عليك
نلت ذلك ، فهذا أحد الأمرين الذي أنت بينهما على خطر - عن
صفوان بن محرز قال : كنت آخذاً بيد عبد الله بن عمر ، فأناه
رجل ، فقال : كيف سمعت رسول الله ﷺ يذكر في النجوى ؟

فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن الله عز وجل يُدني
 المؤمن يوم القيامة حتى يضع عليه كنفه يستره من الناس ، فيقول :
 يا عبدي أتعرف ذنب كذا وكذا؟ فيقول : نعم يارب ثم
 يقول : يا عبدي أتعرف ذنب كذا وكذا؟ حتى إذا قرره بذنوبه
 ورأى في نفسه أنه قد هلك قال : إني قد سترتها عليك في الدنيا
 وقد غفرتها لك اليوم ثم يعطى كتاب حسناته ، وأما الكافر
 والمنافق فيقول : الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة
 الله على الظالمين . قال بينا عبد الله بن عمر يطوف بالبيت إذ
 عارضه رجل فقال : يا أبا عبد الرحمن كيف سمعت رسول الله
 ﷺ يقول في النجوى ؟ فذكر مثله . قال سعيد ، قال قتادة : فلم
 يحزن يوماً أحد فحفي حزنه على أحد من الخلائق . عن ابن
 مسعود أنه قال : ينشر الله عز وجل كنفه يوم القيامة على عبده
 المؤمن ، ويبسط كفه لظهرها ، فيقول : يا ابن آدم هذه حسنة
 قد عملتها في يوم كذا وكذا قد قبلتها ، وهذه خطية قد عملتها
 في يوم كذا وكذا قد غفرتها لك فيسجد ، فيقول الناس : طوبى
 لهذا العبد الصالح الذي لم يجد في صحيفته إلا حسنة (أو قال في

كتابه) . عن عبد الله بن حنظلة قال : إن الله عز وجل يقف
 عبده يوم القيامة فيبدي حسناته في ظهر صحيفته فيقول له : نعم
 أي رب ، فيقول ؟ إني لم أفضحك به اليوم وإني قد غفرت لك
 اليوم ، فيقول عندها : هلموا اقرأوا كتابيه ، إني ظننت أي
 ملاق حسابيه ، حين نجا من فضيحة يوم القيامة - وأما الأمر
 الآخر فاما أن يقول لك : عبدي أنا غضبان عليك فعليك لعنتي ،
 فلن أغفر لك عظيم ما آتيت ، ولن أتقبل منك ما عملت ، فتقول
 لك في ذلك عند بعض ذنوبك العظيمة [أن يقول لك] : أتعرفها؟ فيقول :
 نعم وعزتك ، فيغضب عليك فيقول : وعزتي لا تذهب بها مني
 فنادى الزبانية فيقول : خذوه ، فما ظنك بالله عز وجل بقولها
 بعظيم كلامه وهيبته وجلاله . فتوهم إن لم يعف عنك ، وقد سمعتها
 من الله عز وجل بالغضب ، وأسند إليك الزبانية بغضاضتها وغلظ
 أكفها مستدفرة بأزمة من النيران غضاباً اغضب الله عز وجل
 بالعرف عليك والغلظ والتشديد فلم تشعر حين قائلها إلا وبجسّة
 غلظ أكفهم في قفاك وعنقك ، فتوهم غلظ أكفهم حين قبضوا
 على عنقك بالعرف يتقربون إلى الله عز وجل بعذابك

وهو انك . فتوهم نفسك مستجذباً ذليلاً موقناً بالهلاك وأنت
في أيديهم وهم ذاهبون بك إلى النار مسود وجهك تتخطى
الخلائق بسواد وجهك وكتابك في شمالك تنادى بالويل والثبور ،
والملك آخذ بضبعيك ينادي : هذا فلان بن فلان شقي شقاء
لا يسعد بعده أبداً . لقد شريك بالغضب والسخط عليك ، ولقد
تمت فضيحتك عند خلقه ، فأخلف حسن ظن الظانين بك ،
وحقق تهم المتهمين لك ، ولعله إن فعل ذلك بك فعله بتصنعك
لطاقته عند عباده بطلب المنزلة عندهم بسقوط المنزلة والجاه عنده ،
ففضحك عند من آثرته عليه في المعاملة ، ورضيت بحمده على
طاعة ربك عز وجل عوضاً عن حمده إياك تبارك وتعالى .

فتوهم ذلك ثم توهمه واذكر هذا الخطر ، وكن مفكراً
حذراً أى الأمرين يرتفع بك وأى الأمرين قد أعد لك - عن
كعب قال : إن الرجل ليؤمر به إلى النار فيبتدره مائة ألف
ملك . قال أبو عبد الله : وقد بلغني أنه إذا وقف العبد بين يدي
الله عز وجل فطال وقوفه ، تقول الملائكة : مالك من عبد

عليك لعنة الله أبكل هذا بارزت الله عز وجل وقد كنت تظهر في الدنيا علانية حسنة ؛ قال أبو عبد الله : ولقد بلغني أيضاً أنه إذا حوسب فوبخ بكثرة أعماله الخبيثة تقول الملائكة : مالك من آدمي عليك لعنة الله ، أبكل هذا بارزت الله عز وجل ، وقد كنت تظهر الحسن في الدنيا ؛ قال : من تجبب إلى الناس بما لا يحب الله عز وجل ، وبارز الله عز وجل بما يكره لقي الله عز وجل وهو عليه ساخط وله ماقت ، ثم قال أبو عبد الله وهو يحدث : والله عز وجل ما أمسيت آسفاً علي وعليكم - ومع ذلك الجسر بدفته وزلله وهوله وعظيم خطره قد أمك .

فتوهم ما حل من الوجل بفؤادك حين رفعت طرفك فنظرت إليه مضروباً على جهنم بدفته ودحوضه ، وجهنم تحقق بأمواجها من تحته ، فياله من منظر ما أفضمه وأهوله ، وقد علمت أنك راكب فوقه وأنت تنظر إلى سواد جهنم من تحته ، وتسمع قصيف أمواجها وجلبة ثورانها من أسفلها ، والملائكة تنادي : ربنا من تريد أن تجيزه على هذا ؛ وتنادي : ربنا ربنا سلم سلم ،

فبينما أنت تنظر إليه بفضاعة منظره إذ نودى مروا الساهرة ،
فلم تشعر إلا وقد رفعت الأرض من تحتك وتحت الخلائق لان
تبدل ثم بدلت بأرض من فضه فاذا الخلائق منشورون على أرض
من فضه بيضاء ، ثم قيل لك وأنت تنظر إلى الجسر بفضاظته
وقيل للخلق معك : اركبوا الجسر ، فتوم خفقان فؤادك وفزعه ،
وقد قيل لك اركب الجسر ، فطار عقلك رعباً وفزعاً ، ثم رفعت
أحد قدميك لتركبه فوجدت بباطن قدميك حدة ودقته فطار
قلبك فزعاً ، ثم ثبت الأخرى فاستويت عليه راكباً وقد أثقلتك
أوزارك وأنت حاملها على ظهرك ثم صاعدت عليه بطيران قلبك
حتى بلغت ذروته والخلائق من بين يديك ومن ورائك عرفاً
واحداً فصاعدت عليه بطيران قلبك حتى بلغت ذروته ثم انحدرت
باضطرابه بك والخلائق عليه عرف واحد يضطرب بهم خفقان
جهنم تحته ، فتهافت الناس من بين يديك ومن ورائك ، فتوم
صعودك بضعفك عليه ، وقد نظرت إلى الزالين والزالات من بين
يديك ومن خلفك وقد نسكست هاماهم وارتفعت على الصراط
أرجلهم وأخذت الملائكة بالحي الرجال وذوئب النساء من

الموحدين إذ الأغلال في أعناقهم ، وثارت النار بطلبتها وفارت
وشهقت على هاماتهم ، ورمتهم الملائكة بالكلايب فجذبهم
وثارت إليهم النار بطلبتها وحريقها ، وزفرت وشهقت على هاماتهم
وبادرت شرر النار إلى هاماتهم فتناولتها ثم جذبت هاماتهم إلى
جوفها ، وهم ينادون ويصرخون وقد أيسوا من أنفسهم ، وهم
لا اجتذاب النار لهاماتهم فيها ينحدرون وهم بالويل ينادون ، وأنت
تنظر إليهم مرعوب خائف أن تتبعهم فتزل قدمك فهوى من
الجسر وتنكسر قامتك وترتفع على الصراط رجلاك .

فتوهم ذلك بمقل فارغ وشفقة على ضعف بدنك مخفف في
الدنيا للمرور عليه ، فان أهوال يوم القيامة إنما تخفف على أولياء
الله عز وجل الذين توهموها في الدنيا بمقولهم فمعظم خطر النجاة
عندهم ، فتحملوا من ثقل همومها في الدنيا على قلوبهم وحرقة
خوفها على ضرورتهم فخففها في القيامة بذلك عليهم مولاهم فالزم
قلبك توهمها والخوف منها والغم بها لان يخففها عليك بذلك ويهونها
لأنه آلى على نفسه ألا يجمع على أوليائه الخوف في الدنيا والآخرة .

فتوهم ممرّك على الجسر بشدّة الخوف وضعف البدن ، وإن
يكن مغضوباً عليك غير ممفّى عنك ، ولم تشعر إلا وقد زلّت
قدمك عن الصراط ؛ فتوهم نفسك إن لم يف عنك أن زلت
رجلك عن الصراط فقلت في نفسك مع ذلك ذهبت أبداً هذا
الذي كنت أحاذر وأخاف ، وطار عقلك ، ثمّ زلت الأخرى
فتنكّست هامتك ، وارتفعت عن الصراط رجلاك فلم تشعر
إلا والكلّوب قد دخل في جلدك ولحمك ، فجذبت به وبادرت
إليك النار نائرة غضبانية لغضب مولاها ، فهي تجذبك وأنت
تهوى من الجسر وتنادي حين وجسدت مسّ نفحها : ويلي ويلي
وقد غاب على قلبك الندم والتأسّف إلا كنت أرضيت
الله عز وجل ، فرضى عنك وأقلعت عمّا يكره قبل أن تموت ،
ففقرك ، حتى إذا صرت في جوفها التحمت عليك بحريقها ،
ونلبك قد بلغ غاية حرّقه ومضيقه ، فتورّمت في أول ما ألقيت
فيها ، ونادى الله عزّ وجلّ النار وأنت مكبوب على وجهك
تنادى بالويل والثبور ، فناداها : هل امتلأت ؟ فسمعت نداه
وسمعت إجابتها له : هل من مزيد ؟ يقول هل من سعة وأنت

في قعرها، وهي تتهب في بدنك، لها قصيف في جسدك، ثم لم تبت أن تقطر بدنك وتساقط لحمك، وبقيت عظامك، ثم أطلقت النار على ما في جوفك فأكلت ما فيه، فتوهم كبدك والنار تداخل فيها وأنت تنادي فلا ترحم، وتبكي وتعطى الندم، إن رددت ألا تعود؛ فلا تقبل توبتك، ولا يجاب نداؤك.

فتوهم نفسك وقد طال فيها مكثك وألحَّ العذاب، فبلغت غاية الكرب، واشتدَّ بك العطش فذكرت الشراب في الدنيا، ففرغت إلى الجحيم، فتناولت الاناء من يد الخازن الموكل بمذابك، فلما أخذه نشئت كفتك من تحته، وتفسخت لحرارته، وهيج حريقه، ثم قرَّبته إلى فيك فشوى وجهك، ثم تجرَّعته فسلخ حلقك، ثم وصل إلى جوناك فقطع أمعاءك، فناديت بالويل والشبور، وذكرت شراب الدنيا وبرده ولذته، ثم أقلت الحريق، فبادرت إلى حياض الجحيم لتبرد بها، كما تعودت في الدنيا الاغتسال والانغماس في الماء إذا اشتدَّ عليك الحرُّ فلما اغتمست في الجحيم تسالخ من قرنك إلى قدمك، فبادرت إلى

النار رجا أن تكون هي أهون عليك ، ثم اشتد عليك حريق
النار فرجعت إلى الحميم وأنت تطوف بينها وبين حميم آن ،
وهو الذي قد انتهى حره ، وتطلب الروح فلا روح بين الحميم
وبين النار ، تطلب الروح فلا روح أبداً . فلما اشتد بك الكرب
والعطش وبلغ منك المجهود ذكرت الجنان فهاجت غصّة من
فؤادك إلى خلقك أسفاً على جوار الله عز وجل ، وحنناً على نعيم
الجنة ؛ ثم ذكرت شرابها وبرد مأنها وطيب عيشها ، فتقطع
قلبك حسرة لحرمان ذلك ؛ ثم ذكرت أن فيها بعض القرابة من
أب أو أم أو أخ ، وغيرهم من القرابة فناديتهم بصوت محزون
من قلب محترق قلق : يا أمّاه أو يا أبتاه أو يا أخاه أو يا خاله أو
يا عمّاه أو يا أختي شربة من ماء ، فأجابوك بالخيبة فتقطع قلبك
حسرة بما خبيبوا من أملك ، وبنارأيت من غضبهم عليك لغضب
ربك عز وجل ، ففرغت إلى الله بالنداء بالمرجع والعتبي أن يردك
إلى الدنيا ، فكثرت لك دهرأطويلاً لا يجيبك هوأباً بك وإن
صوتك عنده ممقوت ، وجاهك عنده ساقط ، ثم ناداك بالخيبة منه
أن أخسوأفيها ولا تُسكلمون ، فلما سمعت نداءه بجلال كلامه

بالتخسية لك ابتداء فثلك (؟) لا تجاب ومناخرك وفيك ماجومة
 بلجام ، فبقى نفسك مترددا في جوفك لا مخرج له ، فضاقت
 نفسك في صدرك وبقيت قلقاً تزفر لانطبق الكلام ولا يخرج
 منك نفس ، ثم أراد أن يزيدك إياساً وحسرة ، فأطبق أبواب
 النار عليك وعلى أعدائه فيها . فما ظنك إن لم يعف عنك ، وقد
 سمعت رجوف بابها قد أغلق ؟ فيا إياسك ويا إياس سكتان جهنم
 حين سمعوا وقع أبوابها تطبق عليهم فعملوا عند ذلك أن عز وجل
 إنما أطبقها لثلا يخرج منها أحداً أبداً ، فتقطعت قلوبهم إياساً
 وانقطع الرجاء منهم إلا فرج أبداً ولا يخرج منها ولا محيض لهم
 من عذاب الله عز وجل أبداً خلوداً فلا موت ، وعذاب لا زوال
 له عن أبدانهم ، ودوام حرق قلوبهم ومضيقها ، فلا روح ولا
 راحة تعلق بهم أبداً ، أحزان لا تنضى ، وغموم لا تنفد ، وسقم
 لا يبرأ ، وقيود لا تحل ، وأغلال لا تفك أبداً ، وعطش
 لا يروون بعده أبداً ، وكرب لا يهدأ أبداً ، وجوع لا يشبعون
 بعده أبداً إلا بالزقوم ينشب في حلوقهم فيستغيثون بالشراب
 ليسوغوا به غصصهم فيقطع أمعائهم ، وحسرة فوت رضوان

الله عز وجل في قلوبهم ، وكمد حرمان جوار الله عز وجل
يتردد في صدرهم ، لا يرحم بكافؤهم ، ولا يجاب دعاؤهم ، ولا
يناثون عند تضرعهم ، ولا تقبل توبتهم ، ولا تقال عثرتهم غضب
الله عز وجل عليهم فلا يرضى عنهم أبداً ، إذ أبغضهم ومقتهم ،
وستطوا من عينه ، وهانوا عليه فأعرض عنهم . فلو رأيتهم وقد
عطشوا وجاعوا فنادوا من أهل الجنة الأقباء فقالوا جميعاً : يا أهل
الجنة يا معشر الآباء والأمهات والأخوة والأخوات خرجنا من
قبورنا عطاشاً وأوقعنا بين يدي الله عز وجل عطاشاً ، وأمرنا
إلى النار عطاشاً ، أفيضوا علينا من الماء أو ممّا رزقكم الله ،
فأجابوهم بالتخسية فترجع في قلوبهم الحسرة والندامة فهم فيها
يتقلقون لا ينفع وجوههم روح أبداً ، ولا يذوقون منها بارداً
أبداً ولا يطبقون جفونهم على غمض نوم أبداً ، فهم في عذاب
دائم وهوان لا ينقطع ، فمثل نفسك بهذا الوصف إن لم يعف
عنك . فلو رأيت المذنبين في خنقهم وقد أكلت لحوبهم ومحت
محاسن وجوههم واندرس تخطيطهم ، فبقيت العظام مواصلة
محرقة مسودة وقد قلقوا واضطربوا في قبودهم وأغلاهم وهم

ينادون بالويل والثبور ، ويصرخون بالبكاء والعبول ، إذاً لذاب
قلبك فزعاً من سوء خلقهم وتضعفت من رائحة ننتهم ولما بقى
روحك في بدنك من شدة وهج أبدانهم وحرارة أنفاسهم . فكيف
بك إن نظرت إلى نفسك فيها وأنت أحدم ، وقد زال من قلبك
الأمل والرجاء ولزمه القنوط والاياس وعطفت على بدنك
فتقحمت على الحدقتين فسمعت تفضيضا انتقاماً وبدلاً من نظرك
إلى ما لا يحب ولا يرضى ، ودخلت النار في مسامعك فتسمع
لها فيه قصيفاً وجلبة ، والتحفت عليك فنفضت منك العظام
وذوَّبت اللحم ، واطلعت إلى الجوف فأكلت الكبد والأحشاء
فغلبت على قلبك الحسرة والندامة والتأسف .

فتوهم ذلك بعقل فارغ ، وقد هاجت منه رحمة لضعفك
وارجع عما يكره مولاك وترضى عسى أن يرضى عنك وأعد به
بعقلك واستقله يقلك عثراتك ، وابك من خشيته عسى أن يرحمك
ويقبل عثراتك ، فإن الخطر عظيم وإن البدن ضعيف والموت منك
قريب ، والله جل جلاله مع ذلك ذلك مطلع يراك ، وناظر

لا يخفى عليه منك سرّ ولا علانية ، فاحذر نظره بالمقت والبغضة
والغضب والقلاء ، وأنت لا تشعر فرحاً أو قرير العين ، فاحذر
الله عز وجل وخفه واستحي منه وأجلّه ، ولا تستخفّ بنظره
ولا تهاون باطمئناعه ، وأجلّ مقامه عليك وعلمه بك وافرقة
واخشه قبل أن يأخذك بغتة ، وليرأثر مصيبة مخالفتك له ليعلم
ما قد بلغ منك خلافه ، فيعظم حزنك ويشتد غمك بمخالفته ،
وليعلم أنه قد بلغ إليك خلافه ، فإن علم ذلك منك صفح عنك
وعفى عنك ، فلا تتعرض لله عز وجل فانه لا طاقة لك ببغضه
ولا قوّة لعذابه ، ولا صبر لك على عقابه ، ولا صبر عند عن
جواره فتدرك نفسك قبل لقائه ، فكأنك بالموت قد نزل بك
بغتة ، الموت فكأن قد نزل ... فتوهم ما وصفت لك فانما وصفت
لك فانما وصفت بعض الجمل ، فتوهم ذلك بمقل فارغ موقن
عارف بما قد جنيت على نفسك وما استوجبت بجنايتك ، وفكر
في مصيبتك في دينك ، ولير الله عز وجل عليك أثر المصيبة لعله
أن يرحمك فيتجاوز عنك لمغفرته وعصمته ، فإن كنت من
أهل العفو والتجاوز فتوهم إن تفضل الله عز وجل عليك بالعفو

والتجاوز ممرك على الصراط ونورك معك يسمى بين يديك وعن
 عينك وكتابك يمينك مبيض وجهك وقد فصلت من بين يدي
 الله عز وجل ، وأيقنت برضاه عنك وأنت على الصراط مع زمر
 العابدين ووفود المتقين ، والملائكة تنادي سلم سلم ، والوجل مع
 ذلك لا يفارق قلبك ولا قلوب المؤمنين ، تنادي وينادون : ربَّنَا
 أُنْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّا إِنَّا عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ،
 فتدبر حين رأوا المنافقين طفياً نورهم وهاج الوجمل في قلوبهم
 فدعوا بتمام النور والمغفرة .

فتوهم نفسك وأنت تمرّ خفيفاً مع الوجمل ، فتوهم ممرك
 على قدر خفة أوزارك وثقلها ، فتوهم نفسك وقد انتهيت إلى آخره
 فغلب على قلبك النجاة وعلا عليك الشفق ، وقد عاينت نعيم
 الجنان وأنت على الصراط ، فحق قلبك على جوار الله عز وجل
 واشتاق إلى رضا الله حتى إذا صرت إلى آخره خطوت بأحد
 رجلك إلى العرصه التي بين آخر الجسر وبين باب الجنة فوضعتها
 على العرصه التي بعد الصراط ، وبقيت القدم الأخرى على

الصراط ، والخوف والرجاء قد اعتليا في قلبك وغلبا عليك ، ثم
ثبتت بالأخرى فجزت الصراط كله واستقرت قدماك على تلك
العرصة ، وزلت عن الجسر بيدنك ، وخلقته وراء ظهرك ،
وجهنم تضرب من تحت من يمر عليها ، وتثب على من زل عنه
مغتاظة تزفر عليه وتشهق إليه ، ثم التفت إلى الجسر فنظرت
إليه باضطرابه ونظرت إلى الخلائق من فوقه وإلى جهنم من تحته
تتب وتزفر على الذين زلوا عن الصراط لها في رؤوسهم
وأبجاثهم قصيف ، فطار قلبك فرحاً إذ رأيت عظيم ما نجاك الله
منه ، فحمدت الله وازددت له شكراً إذ نجوت بضعفك من
النار وخلفت النار وجسرها من وراء ظهرك متوجهاً إلى
جوار ربك ، ثم خطوت آمناً إلى باب الجنة قد امتلأ قلبك
سروراً وفرحاً ، فلا تزال في ممرتك بالفرح والسرور حتى توافي
أبوابها ، فاذا وافيت بابها استقبلك بحسنه فنظرت إلى حسنه
ونوره وحسن صورة الجنة وجدرانها ، وقلبك مستطير فرح
مسرور متعلق بدخول الجنة حين وافيت بابها أنت وأولياء
الرحمن . فتوهم نفسك في ذلك الموكب وهم أهل كرامة الله

ورضوانه مبيضة وجوههم مشرقة برضا الله مسرورون فرحون
مستبشرون ، وقد وافيت باب الجنة بغبار قبرك ، وحرّ المقام
ووهج تعب ما مرّ بك ، فنظرت إلى العين التي أعدها الله
لأوليائه وإلى حسن مأثها ، فانغمست فيها مسروراً لما وجدت
من برد مأثها وطيبه ، فوجدت له برداً وطيباً ، فذهب عنك
بحزن المقام وطهرتك من كل دنس وغبار وأنت مسرور لما
وجدت من طيب مأثها لسا باشرته وقد أفلت من وهج الصراط
وحرّه لأنه قد يوافي بابها من أحرقت النار بعض جسده
بلحفها وقد بلغت منه ، فما ظنك وقد انقلت من حرّ المقام
ووهج أنفاس الخلائق ، ومن شدّة توهج حرّ الصراط فوافيت
باب الجنة بذلك ، فلما نظرت إلى العين قدقت بنفسك فيها؛ فتوهم
فرحة فؤادك لسا باشر برد مأثها بدنك بعد حر الصراط ووهج
القيامة وأنت فرح لمعرفتك أنك إنما تغتسل لتتطهر لدخول الجنة
والخلود فيها ، فأنت تغتسل منها دائماً ولونك متغير حسناً
وجسدك يزداد نضرة ومهجة ونعيماً ، ثم تخرج منها في أحسن
الصور وأتمّ النور؛ فتوهم فرح قلبك حين خرجت منها فنظرت

إلى كمال جمالك ونضارة وجهك وحسنه وأنت عالم موقن بأذك
تتنظف للدخول إلى جوار ربك . ثم تقصد إلى العين الأخرى
فتناول من بعض آيتها ، فتوهم نظرك إلى حسن الاناء وإلى
حسن الشراب وأنت مسرور بمعرفتك أنك إنما تشرب هذا
الشراب لتطهر جوفك من كل غلّ وجسدك ناعم أبداً ، حتى إذا
وضعت الاناء على فيك ثم شربته وجدت طعم شراب لم تذق
مثله ولم تعوّد شربه فيسأس من فيك إلى جوفك فطار قلبك
سروراً لما وجدت من لذته ، ثم نقى جوفك من كل آفة ،
فوجدت لذة طهارة صدرك من كل طبع كان فيه ينازعه إلى
الغموم والهموم والحرص والشدة والغضب والغل ، فيا برد طهارة
صدرك ، ويا روح ذلك على فؤاد ، حتى إذا استكملت طهارة القلب
والبدن واستكمل أحبباء الله ذلك معك ، والله مطلع يراك ويراهم
أمر مولاك الجواد المتحن خزان الجنة من الملائكة الذين لم يزالوا
مطيمين خائفين منه مشفقين وجلين من عقابه إعظماً له وإجلالاً
وهيبه له وحذراً من نقمه ، وأمرهم أن يفتحوا باب جنّته لأولياؤه
فانحدروا من دارها وبادروا من ساحاتها وأتوا باب الجنة فمدّوا

أيديهم ليفتحوا أبوابها ، وأيقنت بذلك فطار قلبك سروراً
وامتلات فرحاً وسمعت حسن صرير أبوابها فعلاك السرور
وغلب على فؤادك ، فيا سرور قلوب المفتوح لهم باب جنة رب
العالمين ، فلما فتح لهم بابها هاج نسيم طيب الجنان وطيب جري
مائها فنفح وجهك وجميع بدنك وثار أرايح الجنة العبقة
الطيبة وهاج ريح مسكها الأذفر وزعفرانها المونع وكافورها
الأصفر وغبرها الأشهب وأرياح طيب ثمارها وأشجارها وما
فيها من نسيمها ، فتداخلت تلك الأرايح في مثامك حتى وصلت
إلى دماغك وصار طيبها في قلبك وفاض من جميع جوارحك ،
ونظرت بعينك إلى حسن قصورها وتأسيس بنيانها من طرائق
الجنديل الأخضر من الزمرد والياقوت الأحمر والدر الأبيض قد
سطع منه نوره وبهاؤه وصفائه ، فقد أكمله الله في الصفاء والنور
ومازجه نور ما في الجنان ، ونظرت إلى حجب الله وفرح فؤادك
لمعرفتك أنك إذا دخلتها فإن لك فيها الزيادات والنظر إلى وجه
ربك ، فاجتمع طيب أرايح الجنة وحسن بهجة منظرها وطيب

نسيمها وبرد جوها وذلك أول روح طيب لا تقيض فيه
نفح وجهك .

فتوهم نفسك مسروراً بالدخول لعلمك أنها يفتح بابها لك
والذين معك أولياء الله وفرحك بما تنظر إليه من حسن بهجتها
وما وصل إلى فؤادك من طيب رائحتها وما باشر وجهك وبدنك
من طيب جوها وبرد نسيمها . فتوهم نفسك أن تفضل الله
عليك بهذه الهبة فلمت فرحاً لكان ذلك يحق لك حتى إذا
فتحوا بابها أقبلوا عليك ضاحكين في وجهك ووجوه أولياء الله
معك ، ثم رفعوا أصواتهم يخلصون بمره ما ضحكنا قط منذ
خلقنا إلا إليك ، ونادوكم سلام عليكم ، فتوهم حسن نعماتهم
وطيب كلامهم وحسن تسليمهم في كمال صورهم وشدة نورهم ، ثم
أبعوا السلام بقولهم : طبتهم فادخلوها خالدين ، فأتوا عليهم
بالطيب والتهديب من كل دنس ودرن وغلّ وغش ، وكل آفة
في دين أو دنيا ، ثم أذنوا لهم على الله بالدخول في جواره ، ثم
أخبروهم أنهم باقون فيها أبداً ، فقالوا طبتهم فادخلوها خالدين ، فلما

سمعت الاذن وأولياء الله معك بادرتم الباب بالدخول فكلمت
الأبواب من الزحام - كما قال عتبة بن غزوان وكما قال النبي ﷺ :
لأنقصافهم على باب الجنة أهم إلى من شفاعتي ، فكلم من الزحام -
فما ظنك بباب مسيرة أربعين عاماً كظيظه من زحام أولياء الرحمن
فأكرم بهم من مزدحمين مبادرين إلى ما قد هانوا من حسن
القصور من الياقوت والدر . فتوهم نفسك أن عفا الله عنك في
تلك الزحمة مبادراً مع مبادرين مسروراً مع مسرورين بأبدان قد
طهرت ووجوه قد أشرقت وأنارت فهي كالبدر ، قد سطع من
أعراضهم كشعاع الشمس ، فلما تجاوزت بابها وضعت قدميك
على تربتها وهي مسك أذفر ونبت الزعفران المونع والمسك
مصبوب على أرض من فضة والزعفران نابت حولها فذلك
أول خطوة خطوتها في أرض البقاء بالأمن من العذاب والموت ،
فأنت تتخطى في ترب المسك ورياض الزعفران ، وعينك ترمقان
حسن بهجة الدر من حسن أشجارها وزينة تصويرها ، فبينما
أنت تتخطى في عرصات الجنان في رياض الزعفران وكثبان
المسك إذ نودي في أزواجك وولدانك وخدمك وغلماذك

وقهارمتك إنَّ فلاناً قد أقبل فأجابوا واستبشروا لقدمك كما
يشر أهل الغائب في الدنيا بقدمه - كما قال علي بن أبي طالب
رضي الله عنه - فينما أنت تنظر إلى قصصورك إذ سمعت
جلبتهم وتبشيشهم فاستطرت لذلك فرحاً، فينما أنت فرح مسرور
بغبتهم لقدمك لما سمعت إجلابهم فرحاً بك إذ ابتدرت
القهارمة إليك وقامت الولدان صفوفاً لقدمك، فينما أنت
القهارمة مقبلة إليك إذ استخفَّ أزواجك للمجلة فبعثت كل
واحدة منهن بعض خدمها لينظر إليك مقبلاً ويسرع بالرجوع
إليها بقدمك لتطمئن إليه فرحاً وتسكن إلى ذلك سروراً
فنظر إليك الخدم قبل أن تلقاك قهارمتك، ثمَّ بادر رسول كل
واحدة منهن إليها فلما أخبرها بقدمك قالت كل واحدة منهن
لرسولها أنت رأيت من شدة فرحها بذلك ثمَّ أرسلت كل واحدة
منهن رسولاً آخر فلما جاءت البشارات بقدمك إليهن لم يتمالكن
فرحاً فأردن الخروج إليك مبادرات إلى لقائك لولا أن الله
كتب القصر لهن في الخيام إلى قدمك كما قال مليكك: حورٌ
مقصورات في الخيام، فوضعن أيديهن على عضائد أبوابهن

وأذرعهم برؤوسهن ينظرن متى تبدو لهن صفحة وجهك فيسكن
طول حنينهن وشدة شوقهن إليك وينظرن إلى قرير أعينهن
ومعدن راحتهن وأنسهن إلى وليّ رهن وحبيب مولاهن ، فبينا
أنت ترفل في كشبان المسك ورياض الزعفران وقد رميت ببصرك
إلى حسن بهجة قصورك إذ استقبلك قهارمك بنورهم وبهائمهم
فاستقبلك أول قهرمان لك فأعظمت شأنه وظننت أنه من ملائكة
ربك فقال لك : يا وليّ الله إنما أنا قهرمانك وكلت بأمرك ولك
سبعون ألف قهرمان سواي ، ثم تابعه القهارمة بهائمهم ونورهم كل
يعظمك ويسلم عليك بالتعظيم لك .

فتوهم قلبك في الجنان وقد قامت بين يديك قهارمك معظمين
لك ثم الوصفاء والخدام فاستقبلوا كأنهم اللؤلؤ المكنون فسلموا
عليك ، ثم أقبلوا بين يديك ؛ فتوهم تبخترك في موكب من قهارمك
وخدامك يزفونك زفا إلى قصورك وما أعد لك مولاك ومليكك
فلما أتيت باب قصرك فتحت الحجاب أبوابك ورفعت لك الستور
وهم قيام على أقدامهم لك معظمين ، فتوهم ما عاينت حين فتحت

أبواب قصورك ورفعت ستوره من حسن بهجة مقاصيره وزينة
أشجاره وحسن رياضه وتلاؤ صحنه ونور ساحاته ؛ فبينما أنت
تنظر إلى ذلك إذ بادرت البشرية من خدامك ينادون أزواجك
هذا فلان بن فلان قد دخل من باب قصره، فلما سمعن نداء البشراء
بقدمك ودخولك توثبن من الفرش على الأسرة في الحجال وعينك
ناظرة إليهن في جوف الخيام والقباب فنظرت إلى وثوبهن
مستعجلات قد استخفن الفرح والشوق إلى رؤيتك، فتوهم تلك
الأبدان الرخيمة الرعبوبة الخريذة الناعمة يتوثبن بالتهادي والتبختر
فتوهم كل واحدة منهن حين وثبت في حسن حلالها وحليتها
بصباحة وجهها ، وثنى بدنها بنعمته ، فتوهم انحدارها مسرعة
بكال بدنها نازلة عن سيرها إلى صحن قبتها وقرار قيمتها فوثبن
حتى أتين أبواب خيامهن وقبابهن ، ثم أخذت بأيديهن عضائد
أبواب خيامهن للقصر الذي ضرب عليهن إلى قدومك فقممن
أخذت بعضائد أبوابهن ، ثم خرجن برؤوسهن ووجوههن
ينحدرن من أبواب قبابهن متطلعات ينظرن إليك مقبلات قد
ملئن منك فرحاً وسروراً .

فتوهم نفسك بسرور قلبك وفرحه وقد رمقتهن ببصرك
ووقع ناظرِكَ على حسن وجوههن وغنح أعينهن فلما قابلت
وجوهن حار طرفك وهاج قلبك بالسرور فبقيت كالمبهوت
الذاهل من عظيم ما هاج في قلبك من سرور ما رأت عيناك
وسكنت إليه نفسك ، فبينما أنت ترفل إليهن إذ دنوت من
أبواب الخيام فأسرعن مبادرات قد استخفن العشق مسرعات
يتثنين من نعيم الأبدان ويتهادين من كمال الأجسام ثم نادتك
كل واحدة منهن : يا حبيبي ما أبطأك علينا ؛ فأجبتها بأن قلت :
يا حبيبة ما زال الله عز وجل يوقفي على ذنب كذا وكذا حتى
خشيت أن لا أصل إليكن فمشين نحوك في السندس والحريز
يثرن المسك ويحركن نبت الزعفران بأذيال حللهن وخلخيلهن
استعجالاً إليك وشوقاً وعشقاُ لك ، فأول من تقدمت منهن إليك
مدت إليك بناتها ومعصمها وخاتمها كما قال النبي عليه السلام ؛
فتوهم حسن بنان أنشىء من الزعفران والكافور ، ونعم في الجنان
الألف من الدهور ، فتوهمه حين مدته إليك بتلاؤلاً نوراً
ويضىء إشراقاً ، فلما وضعت بناتها في بنانك وجدت بحسنة

لَيْسَ نَعِيمُهُ وَكَادَ أَنْ يَنْسَلُ مِنْ يَدَيْكَ لَيْسَ لَهُ ، وَكَادَ عَقْلُكَ أَنْ
يَزُولَ فَرِحًا بِمَا وَصَلَ إِلَى قَلْبِكَ مِنْ طِيبِ مَسِيَسِ بَنَانِهَا ، ثُمَّ مَدَّتْ
يَدَكَ إِلَى جَسْمِهَا الرَّخِيمِ النَّاعِمِ فَضَمَّتْكَ إِلَى نَحْرِهَا فَانْتَبَيْتَ عَلَيْهَا
بِنُكْفِكَ وَسَاعَدَكَ حَتَّى وَضَعْتَهُ عَلَى قَلْبِهَا مِنْ حَلْقِهَا ، ثُمَّ ضَمَّتْهَا
إِلَيْكَ وَضَمَّتْكَ إِلَيْهَا ، فَتَوَمَّ نَعِيمَ بَدَنِهَا لِمَا ضَمَّتْكَ إِلَيْهَا كَادَ أَنْ
يَدْخُلَ بَدَنَكَ بِدَنِهَا مِنْ لَيْسَ وَنَعِيمُهُ ، فَتَوَمَّ مَا بَاشَرَ صَدْرَكَ مِنْ
حَسَنِ نَهْوْدِهَا وَلَذَّةِ مَعَانِقِهَا ، ثُمَّ شَمَّتْ طِيبَ عَوَارِضِهَا فَذَهَبَ
قَلْبُكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سِوَاهَا حَتَّى غَرِقَ فِي السَّرُورِ وَامْتَلَأَ فَرِحًا
لِمَا وَصَلَ إِلَى رُوحِكَ مِنْ طِيبِ مَسِيَسِهَا وَلَذَّةِ رَوَائِحِ عَوَارِضِهَا
فَبَيْنَا أَنْتَ كَذَلِكَ إِذْ تَمَازَى عَلَيْكَ فَانْكَبَى عَلَيْكَ بِإِثْمَانِكَ
وَبِعَاقِبَتِكَ فَالَانَ وَجْهَكَ فَأَفْوَاهَهُنَّ مَلْتَمَاتٍ وَمَلَانَ صَدْرَكَ
بِنَهْوْدِهِنَّ فَأَحْدَقْنَ بِكَ بِحَسَنِ وَجُوهِهِنَّ وَغَطَيْنَ بَدَنَكَ وَجِلَانَهُ
بِذَوَائِبِهِنَّ وَاسْتَجَمَعْتَ فِي مَشَامِكِ أَرَائِيحِ طِيبِ عَوَارِضِهِنَّ ؛ فَتَوَمَّ
نَفْسِكَ وَهَنَّ عَلَيْكَ مِنْكَبَاتِ بَيْتِكَ مَاتَمَاتٍ مَتَشَمَاتٍ عَلَيْكَ
مَتَشَبِهَاتٍ بِنَعِيمِ أُبْدَانِهِنَّ ، لَمَّا اسْتَرَاخَتْ عِنْدَ ضَمِّكَ إِلَيْهِنَّ لَشِدَّةِ
الْمَشَقِّ وَطُولِ الشُّوقِ إِلَيْكَ مَتَشَبِهَاتٍ بِجَسْمِكَ وَمَتَشَبِهَاتٍ بِنَعِيمِ

أرأيي عوارضك ، فلما استمكنت خفة السرور من قلبك
وعمت لذة الفرح جميع بدنك ، موعده الله عز وجل في سرورك
فناديت بالحمد لله الذي صدقك الوعد وأنجز لك الموعد ، ثم ذكرت
طلبك إلى ربك إياهن بالهذؤوب والتشهير ، فأين أنت في عاقبة
ذلك العمل الذي استقبلته وأنت تلتصين وتشم عوارضهن لمثل
هذا فليعمل العاميون ، ثم أثنيت عليك وأثنت عليهن ،
ثم رفعت أصواتهن ليؤمننك بذلك من المعرفة لهن بحوادث
الأزمان وتنقيص عيشك بأخلاقهن فنادين جميعاً بأصواتهن نحن
الراضيات فلا نسخط أبداً ، ونحن المقيمات فلا نظعن أبداً ،
ونحن الخالدات فلا نبئد أبداً ، ونحن الناعمات فلا نبؤس أبداً ،
طوباك أنت لنا ونحن لك ؛ ثم مضيت معهن في أحسن منظر
وأنت في موكبك من حورك وولدانك وخدامك ، حتى انتهيت
إلى بعض خيامك فنظرت إلى خيمة من درة بجوفة مفصصة
بالباقوت والزمرد فنظرت إلى حسن أبوابها وبهجة ستورها ،
ثم رميت ببصرك إلى داخلها فنظرت إلى فرشها ونجدها
وزرايها وحسن تأسيس بنائها قد بنيت طرائق على جنادل

الدر والياقوت ، ثم نظرت إلى سريرك في ارتفاعه وعليه فرشته ،
من الحرير والاستبرق بطائهن ، قد علا ظواهرهن من النور
المتكشف وعلى أطرافهن من فوق الحرير والديباج وحسن الرفرف
الأخضر وهي فصول المجالس ، فلما تأملت تلك الفرش بحسبها
وفوقها المرافق قد تثنها حار طرفك فيها ، ثم نظرت إلى حجبتها
من فوق سريرها قد أهدقت بالعرش من فوقها .

فتوهم حسن الأبواب وحسن الستور وحسن عرصة القبة
بحسن فرشها وحسن السرير وحسن قوائمه وارتفاعه وحسن
الفرش فوقه والمرافق فوق فرشته والحجلة المضروبة من فوق
ذلك كله فتأمل ذلك كله ببصرك ، فلما دنوت من فرشك
تطأمنت مع سريرك فارتفعت الحوراء وارتقيت معها . فتوهم
صعودها عليه بعظيم بدنها ونعيمه حتى استوت عليه جالسة ، ثم
ارتقيت على السرير فاستويت عليه معها فقابلتك وأنت مقابها ،
فياحسن منظرك إليها جالسة في حلالها وحليها بصباحة وجهها
ونعيم جسمها ، الأساور في معاصمها والخواتم في أكفها والمخلاخيل

في أسواقها والحقائب في حقوها والوشاح قد تنظر نهديها وجمال
بخصرها والقلائد في عنقها والشحط على نحرها والأكاليل من
الدر والياقوت على قصتها وجبينها والتاج من فوق ذلك على
رأسها والذوائب من تحت التاج قد حل من مناكبها وبلغ
أردافها وأعمالها ، ترى وجهك في نحرها وهي تنظر إلى وجهها
في نحرك ، وقد أحدق الولدان بقبتك وقد قام الوهط بين يديك
ويديها ، وقد تدلست الأشجار بثمارها من جوانب حجلتك
واطردت الأنهار حول قصرك واستعلى الجداول على خيمتك
بالخمر والعسل واللبن والسلسبيل وقد كمل حسنك وحسنها وأنت
لابس الحرير والسندس وأساور الذهب والأؤلؤ على كل مفصل
من مفاصلك ، وتاج الدر والياقوت منتصب فوق رأسك ،
وأكاليل الدر مفصصة بالنور على جبينك ، وقد أضاءت الجنة
وجميع قصورك من إشراق بدنك ونور وجهك وأنت تعان
من صفاء قصورك جميع أزواجك وخدمك وجميع أبنية
مقاصيرك ، وقد تدلست عليك ثمار أشجارك واطردت أنهارك
من الخمر واللبن من تحتك والماء والعسل من فؤتك وأنت جالس

مع زوجاتك على أريكتك ، وقد فتحت مصاريع أبوابك
وأرخيت عليك حجال خيمتك وحفّت الخدام والولدان بقبتك
وسمعت زجلهم بالمقدّيس لربك ، وقد اطعموا على ضمير قبك
فسارعوا إلى كل ما حدثت به نفسك من أنواع كرامتك
وسرورك وأمايك فأتوك بكل أمينتك ، وأنت وزوجك بأكل
الهيئة وأتم النعمة ، وقد حار فيها طرفك تنظر إليها متمجبا من
جمالها وكما لها طرب قلبك بملاحتها وأنس قلبك بها من حسننها ،
فهي منادمة لك على أريكتك تنازعك وتماطيك الحجر والسلسبيل
والتسنيم في كأسات الدر وأكواب قوارير الفضة . فتوهم
الكأس من الياقوت والدر في بناها ، وقد قربت إليك ضاحكة
بحسن نغرها فسطع نور بناها في الشراب مع نور وجهها ونور
نحرها ونور نغرها ، فما ظنك بذوائب شاب أمرد كامل الخلق ،
أنور الوجه ، أبيض الجسم ، أنضر الثياب أصفر الحلى من ذهب
الجنان يشوبه حمرة الياقوت وبياض الدر وحسن المقيان ، فيالآك
عروس وباتلك عروس طفلة أنيسة عربوبة كامل خلقها ، وباجمال
وجهها ، وبابياض نهودها وتثنى جسمها ، يكسوها التأنيث وبابينها

النعيم تنظر إليك بفنح الحور وتكلمك بملاحة المنطق وتداعبك
بالدلائل وتلاعبك بالعشق والطرق ، بيدها كأس در لا ظل له
أو ياقوت لاشه من صفائه ورقّة جسمه ، قد جملة بحسن كفها
وزميرتها ونور خواتمها فيه ؛ فتوهم حسن الكأس مع بياضه مع
بياض الشراب مع بياض كفها وحسنه ، فتوهم كأس الدر
والياقوت أو الفضة في صفاء بنائها الكامل ، وقد اقتربت إليك
ضاحكة بحسن ثغرها وسطع نور بنائها في الشراب مع نور
وجها ونحرها وأنت مقابله فضحكت أيضاً إليها فاجتمع في
الكأس الذي في بنائها نورك مع نورها مع نور الكأس ونور
الشراب ونور وجهها ونور نحرها ونور ثغرها ونور الجنان ؛
فتوهم بهذه الأنوار في ضيائه يلمع بصفائه في كفها ، وقد مدّت
به إليك يدها بخواتمها وأساورها في معاصمها فناولتك الكأس
بكفها ، فياحسن مناولتها ويا حسنبا من يد ، ثم تعاطت كأسات
الحمر في دار الأمن واللذات والسرور ، فتناولته منها ثم وضعت
على فيك تم سلسلته في فيك ، فسار سروره في قلبك وعمت لذته
جوارحك فوجدت منه طعاماً أطيب طعاماً وألذه فشربته والولدان

قيام بين يديك . فتوهم ذلك وقد شربت الكأس من يدها ، ثم
ناولتها من يدك فتناولته بحسن كفها وهي ضاحكة ، فياحسن
مضحكها فشربته من يدك حتى إذا تعاطيتها الكأس ودار فيما
بينكما وشاع نور الشراب في وجنتها ورفعت أصواتكما بالتحميد
والتقديس لمولايكما وسيّدكما ورفعت الولدان والخدم أصواتهم
تسبيحاً وتهليلاً مجاوبة لكما فيا حسن تلك الأصوات بتلك النغمات
في تلك القصور وتلك الخيمات ؛ فينما أنما في لذاتكما وسروركما
وقدمضت الأحقاب من الدهور وما تشمران من اشتغال قلوبكما
بنعيمكما إذ هجمت الملائكة بالسلام عليك وأتتك بالتحف
والألطاف من عند ربك حتى إذا انتهت رسل ربك إلى الحجة
الذين دونك والقهارمة الموكلين بك فطلبوا إليهم الاذن عليك
ليوصلوا ما أتوا به من عند مولايك إليك فقالت عند ذلك حجبتك
لملائكة ربك : إنّ ولى الله مشغول مع أزواجه وإنّا لنكره
الاذن عليه إعظماً وإجلالاً له ، وكذلك يقول الله ربك تبارك
وتعالى : في شُغْلٍ فَأَكْثَرُونَ وبذلك جاء التفسير فأعظم به
من شغل وأعظم بك من ملك تستأذن عليك رسل بك ، وكذلك

يقول الرافع قدر أوليائه في جواره تبارك وتعالى : وإذ أَرَأَيْتَ
ثُمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُدَّ كَأَسْبَابِ قَيْلٍ فِي التَّفْسِيرِ إِنَّ ذَلِكَ
اسْتِئْذَانُ الْمَلَائِكَةِ عَلَيْهِمْ فَقِيلَ لَهُ رَسُولَ اللَّهِ بِالْبَابِ يَا وَلى اللَّهِ
لَا يَدْخُلُ عَلَيْكَ إِلَّا بِإِذْنِى يَا وَلى اللَّهِ فَقَدْ نَلْتِ مِنَ الرِّضَا وَبَلَغْتِ
غَايَةَ الْمَلِكِ وَالْمَنَى .

فتوم الملائكة وهي قائلة حين أبت حجابك أن تستأذن
لهم عليك : إِنَّا رَسَلْنَا إِلَيْهِ بَهْدَايَا وَتَحَفٌ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ ،
فَوَثَبْتَ عِنْدَ ذَلِكَ مِنْ حِجَابِكَ تَسْتَأْذِنُ لَهُمْ عَلَيْكَ ، فتوم أيدي
الحجاب وقد مدوا بها إلى حلق الياقوت المفصص بالدر على
صفائح الذهب الأحمر فقرعوا حلق أبواب قصرك ، فلما اصطك
حلق الياقوت بأبواب قصرك من الدر والزمرد طنت الحلق على
الأبواب بأحسن طنين تلذ به الأسماع وتسرب به قلوب المستمعين ،
فأما سمعت الأشجار طينتها تمايلت ثمارها على بعضها بعضاً فهبت
بذلك أرياح طيبها ونسيمها ، ثم أشرقت من قبك بجمال وجهك
وإشراق نورك فبادرت الحجة إليك بالقول مسرعة وهي مع ذلك

غاضة أبصارها تعظما لك ، ولما رمق أبصارها من إشراق نور وجهك : أن يا ولى الله رسل الله إليك بالباب ومعهم التحف من عند ربك ، فرجعت إليهم بالجواب : أن أذنوا لرسول مولاي ، ففتحت الحجة عند إذناك لهم أبواب قصرك وأنت متكئ ، فدخلوا على أربكتك والولدان قد صفوا بين يديك فأقبلت الملائكة بحسن صورهم والهدايا تلمع وتسطع نوراً في أيديهم ، فدخلوا عليك من أبواب متفرقة لينجز لك ربك ما وعدك من كل باب سلام عليك ، فبادروا بالسلام عليكم بحسن نعماتهم من كل أبوابك ، ثم أتبعوا تسليمهم : يا ولى الله إن ربك يقول عليك السلام ، وقد أرسل إليك بهذه الهدايا والتحف .

فتسوم سرور قلبك بتحف ربك ولطفه إياك ، حتى إذا خرجوا من عندك أقبلت على نعمتك مع زوجتك قد حار فيها طرفك واشتد بها سرورك ؛ فبينما أنت معها في غاية السرور والحبور إذ أتى النداء بأحسن نفمة وأحلى كلام من بعض ما أعد الله من أزواجك : يا ولى الله أما لنا منك دولة ؟ أما آن لك أن

تظنر إلينا ؟ فلما امتلأت مسامك من حسن كلامها طار قلبك عشقاً لحسن نغمها فأجبتها : ومن أنت بارك الله فيك ؟ فردت الجواب إليك : أنا من اللواتي قال الله عز وجل : فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ . فتوهم ووثوبك من سريرك إلى صحن قبلك ، ثم مشيت مع ولدانك وخدمك رقرن ولدانها وخدامها يستقبلونك واستقبلوك ومشوا بين يديك حتى آليت قبة من ياقوتة حمراء في قصر من در وياقوت ، فلما دنوت من باب قصرها قامت قهارمك وخدامك رافعي ستور قصرك فدخلته ممتلئاً سروراً . فتوهم باب القصر وحسن الستر وحسن الحجاب والقهارمة والخدام ، ثم دخلت من باب قصرك الذي نادتك منه زوجتك ، فلما دخلت من بابه وقع بصرك على حسن جـدرانه من الزمرد الأخضر ، وحسن رياضه ، وبهجة بنائه ، وإشراق عرصانه ، ونظرت إلى قبلك التي فيها زوجتك يتلأل نور القبة نوراً وضوئاً وإشراقاً بنور وجهك ونور وجه زوجتك ، فلما نظرت إليك نظرت من فرش الحرير والاستبرق والأرجوان فنزلت عن سريرها مبادرة قد استخفها شدة

الشوق إليك وأزعجها العشق فاستقبلتك بالترحيب والتبجيل ثم
 عطفت عليك لماعتك - وكذلك روى أنس بن مالك عن النبي
 ﷺ إن الحوراء تستقبل ولي الله فتصافحه - فتومحسنة لين
 كفها بحسنها وخواتمها في كفك ، وقد شخصت كالمبهوت
 تعجباً من حسن وجهها ونعيم جسمها وتلاؤ نور من عوارضها ،
 ثم وضعت كفها في كفك حتى آتيا سريرك مضروبة عليه
 أريكتك فارتقيما جميعاً على أريكتك واستدللت عليك جلال
 حجلتك وعانت على فرشها زوجتك فضت بك الأزمنة الطويلة ،
 ثم أقبلت الولدان بالكاسات والأكواب فاصطفت قبالتسكا ، ثم
 أدت الكأس فيما بينكما ، فبينما أنما قد ملثما فرحاً وسروراً إذ
 نادتك أخرى من قصر من قصورك : يا ولي الله أما لنا منك
 دولة ؟ أما آن لك أن تشناق إلينا ؟ فأجبتها : ومن أنت بارك الله
 فيك ؟ فرجعت إليك القول أنا من اللواتي قال الله عز وجل :
 وَادِينْنَا مَزِيدٌ ، فتحولت إليها وأنت تنتقل فيما بين أزواجك
 في قصورك وخذمك وولدانك في غاية النعيم وكمال السرور ،
 وقد زحزحت كل آفة ، وأزيل عنك كل نقص ، وطهرت من

كل دنس ، وأمنت فيها الفراق ؛ لأن الله تعالى قد قصد قلبك
فقال اللهم زولي عنه فلا تخطري له أبداً ، وقال للسرور تمكن
فيه فلا تزول منه أبداً ، وقال للأسقام زولي عن جسمه فلا
تعرضي له أبداً ، وقال للصحة أقيمي في بدنه فلا تبرحي أبداً ، وذبح
الموت وأنت تنظر إليه فأمنت الموت فلا تخافه أبداً ، ولا زوال
ترتبه ولا سقم يعتريك أبداً ، ولا موت يمرض لك أبداً ، قد
منحت جوار ربك ترفل في أذيالك لا تخاف سخطه أبداً بعد
رضاه عنك ، فلا تخاف نقمه فيما تنقلب [فيه] من نعيمه ، وأنت
عالم بأن الله عز وجل يحب لك مسرور بك وبما تنقلب فيه من
سرورك ، فأعظم بدار الله داراً ، وأعظم بجوار الله جواراً ،
فالعرش قد أظلك بظله ، والملائكة تختلف إليك بالألطف من
عند ربك ، وقد أيقنت برضاه عنك ، ووجدت برد عفوه في
قلبك مقبلاً دائماً في الخلود مع الأمان لنوائب الدهر وحوادث
الازمان لك ولجميع أوليائه ، متحدنا بجمعهم تحت ظل طوبى ؛
فبيننا أولياؤه وأنت فيهم تحت ظل طوبى يتحدثون إذ أمر الله
منادياً ملائكته فنادى أولياؤه لينجز لأوليائه ما وعدهم من غاية

كرامته وعظيم ممرته بأن يقربهم منه ويناجيهم بترحيبه ويريمهم
وجهه الكريم ليلبغوا بذلك أشرف المنازل وغاية السرور ومنتهى
الرغبة، فلم تشعر إلا ونداء الملك: أن يا أهل الجنة إن لكم عند
الله لموعداً لم تروه، فيرجعون إليه القول استعظاماً لما أعطوا؛
فإن لا عطية فوق ما أعطوا بعد ذلك، أدخلوا في جواره وأمنوا
من عذابه وأنت قائلها معهم: ألم ينظر وجوهنا، ألم يدخلنا الجنة،
ألم يرحمنا عن النار، فنأدهم أن الله يستزيركم فزوروه؛ فبينما هم
كذلك وقد كادت قلوبهم أن تطير بأرواحهم في أبدانهم فرحاً
وسروراً، إذ أقبلت الملائكة يقودون نجائب بخت خلقت من
الياقوت، ثم نفخ فيها الروح مزمومة بسلاسل من ذهب، كأن
وجوههم المصاييح نضارة وحسناً، لا تروث ولا تبول، ذوات
أجنحة، قد علاها خز من خز الجنة أحمر، ومرعز من مرعزها
أبيض مشرق في بياضه، على ظهرها خيطان حمرة في بياض على هيئة
وتر النجائب في الدنيا، لم ينظر الخلائق إلى مثله وحسن لونه.

فتوهم حسن تلك النجائب وحسن صورها، نجائب من

ياقوت الجنة في حمرة وصفائه وإشراق نوره وتلاؤه حين يمشى
 في تحركه ، فتوهمها بحسنها وحسن وجوه الملائكة وحسن
 أزمته بسلاسل من ذهب الجنان ، وهي تقودها وتقبل بها إلى
 أولياء الله وأنت فيهم معتدلة في خبيها بحسن سيرها لأنها نجب
 خلقت على حسن السير من غير تعليم من العباد ، فهي نجب من
 غير رياضة ، ذلل بسلاسلها منقادة من غير مهنة ؛ فتوم إقبال
 الملائكة بها إليهم حتى إذا دنوا من أوليائه أناخوها ، فتوم
 بروكها في حسنها وهيئة خلقها وقلبك عارف أنك ستركب
 بمضها إلى ربك منطلقاً في الزايرين له ، فلما أناخوها فبركت
 على كئبان المسك من رياض الزعفران تحت طوبى ومستراح
 العابدين أقامت الملائكة على أولياء الله فقالوا بحسن نعماتهم :
 يا أولياء الرحمن إن الله بركم يقربكم السلام ويستزيركم فزوروه
 لينظر إليكم وتنظروا إليه ، ويكلمكم وتكلموه ، ويحييكم وتحييوه
 ويزيدكم من فضله ورحمته ، إنه ذو رحمة واسعة وفضل عظيم
 فلما سمعها أولياء الله وسمعتها معهم وثبوا مسارعين إلى ركوبها
 حباً وشوقاً إلى ربهم ، فتوهم سرعة توثبهم وأنت معهم بحسن

وجوههم ونورها وإشراقها سروراً بقرب ربهم ورؤية حبيبتهم ،
فتوم هببتهم حين رفعوا أيمان أرجلهم إلى ركب الياقوت
والزمرد والدر ، فتوم حسن أقدامهم ونعيمها ، لأنها أقدام غيرت
عن خلقها فأكسيت في الحسن بخلاف ما كانت عليه في دار
الدنيا ، ثم أكتسها الله في جنته من كل آفة فغير خلقها متخضبة ،
لها أحقاب الدهور في كئيبان المسك ورياض الزعفران ؛ فتوم
حسن نورها وقد رفعها أولياء الله إلى ركب الياقوت والدر ،
فتومها بحسنها في أحسن ركب نجائب الجنان ، ثم ثنوا من غير
عنف ولا مشقة حتى استنوا على رحائل من الدر والياقوت
مفضضة بالبقرى والأرجوان ، فباحسن بياض الدر في حمرة
الأرجوان ، فلما استنوا عليها واستويت على نجيبك معهم أثاروا
نجائبهم فنارت ، فنار عجاج المسك وثوبها علا ذلك ثيابهم وجمامهم ،
ثم استوت النجائب صفاً واحداً معتدلاً فصاروا موكباً
معتدلاً لا عوج فيه ، ولا يتقدم بعضها بعضاً ، فأعظم به من
موكب وأعظم به من ركبان ؛ فتوم امتداد صفهم في اعتداله
واصطفاف وجوههم معتدلة في اصطفافها ، وعلى جباههم

الأكاليل ، من فوق رؤوسهم تيجان من الدر والياقوت ، فما ظنك
باجتماع وجوه أهل الجنان كلها ، عليهم الأكاليل والتيجان مصطفة
متحاذية ، فما ظنك بأكثر من ألف ألف ألف ، وما تقدر
القلوب على إحصاء عدده من تيجان لدر والياقوت مطنطنة على
وجوههم نضرة ضاحكة فرحة مستبشرة ، فلو توهمت هذا الموكب
بنجائبه واعتمداً ركبانه واصطفاف تيجانه على وجوه أولياء الله
المشرقة الناعمة من تحته ، ثم رهقت نفسك اشتياقاً لكنت لذلك
حقيقاً ، ولكنت به حرياً إن عقلت ذلك شوقاً من قلبك بايقان
بانجاز من موعد ربك لذلك لأوليائه ، فلما اعتدل الصف واصطففت
التيجان تبادروا بينهم : سيروا إلى ربنا .

فتوم النجائب حين أخذت في السير بأخفاف من الياقوت
سيراً واحداً بخط واحد لا يتقدم بعضها بعضاً ، تهز أجسام أولياء
الله عليها من نعيمها وأكتافها متحاذية في سيرهم وأخفاف رواحلهم
وركبها متحاذية في خبيها ، فانطلقوا كذلك تثير رواحلهم المسك
بأخفافها ، وتهتز رياض الزعفران بأرجلها ، فلما دنوا من أشجار

الجنة رمت الأشجار إليهم من ثمارها فصارت الثمار وهم يسرون
في أيديهم ، فباحسن تلك الثمار في أكفهم ، ونرحزحت وتحت
الأشجار عن طريقهم لما ألهمها مولاها أن لا يتلم صفهم فيتعوج
بعد استوائه ، ويختلف بعد اعتدله ، ويفرق بين ولي الله ورفيقه
لأنهم رفقاء في الجنان لتحابهم في الدنيا في ربهم ، فالرفقاء
مشهورون كل رفيقين قد شبرا بالمرافقة ، وجعل زيهما ولباسهما
لوناً واحداً ، ولون رواحلهما لوناً واحداً .

فتوهم نفسك إذ من عليك ربك وأنت لاصق برفيقتك
منكبك بمنكبه ، وقد دنوتما من أشجار الجنة فنفضت ثمرها
فوقمت الثمار في أيديكما وأيادي أولياء الرحمن ، ثم تحت بأصولها
عن طريقهم فهم يسرون فرحين ، وقد شخصت قلوبهم بالتعلق
إلى نظر حبيبتهم فهم يسرون بالسرور ويلتفت بعضهم إلى بعض
يتحادثون ويضحك بعضهم إلى بعض ، يتداعون في سيرهم ،
يحمدون ربهم على ما صدقهم على ما أباح لهم من جواره ، فيبينا
هم في سيرهم إذ دنوا من عرش ربهم وعانوا أحسن حجبته

ونوره واستحشوا السير شوقاً وحباً وفرحاً به . فتوهم نجائبهم
تطير في سيرها باعتدال موكبهم وإشراق وجوههم والملائكة
قد أهدت بالنجائب تزفهم زفاً إلى ربهم حتى انتهوا إلى فحصة
عرش مولاهم ، فتوهم سعة تلك الفحصة وحسن نورها يبهجتها
وزهرتها ، وقد وضعت الزرابي والمارق على كئيب المسك ،
عرف كل فتى منهم ما أعد له ، والكراسي لأهل صفوته من
عباده ، وأحبائه من خلقه ، لما دنوا إلى ما أعد لهم من المنابر
والكراسي والزرابي والمارق ، فثنى رجله الحسنه من الركاب إلى
منبر أو كرسي أو زربة ، فتوهم ثنيهم أرجلهم إلى كراسيهم ،
حتى استووا عليها ، فتوهم نعيم تلك الأفاخاذ والأوراق المرتفعة
على الكراسي بالدر والياقوت ، فأعظم به من مقعد وأعظم بولي
الله متربماً ، فلما أخذ القوم مجالسهم واطمأنوا في مقعدهم والحجب
تسطع نورها فيالذة أعينهم ، وقد أصفوا بمسامعهم منتظرين
لاستماع الكلام من حبيبيهم ، فتوهمهم في مقعدهم الصدق الذي
وعدهم مولاهم ومليكيهم في القرب منه على قدر منازلهم ، فهم
في القرب منه على قدر مراتبهم ، فالمحبون له أقربهم إليه قرباً

إذ كانوا له في الدنيا أشد حبا ، وأقرب إلى عرشه منهم القائمون
بحجته عند خلقه ، ثم الأنبياء عليهم السلام ثم الصديقون على
قدر ذلك في القرب من العزيز الرحيم ، فأعظم به من مزور
وجلّ وتكبر من مزور .

فتوهم مجلسهم بحسن كرامتهم وجمال وجوههم وإشراقها
لما رهنها نور عرشه عز وجل وإشراق حجبها فلو صح لك عقلك
ثم توهمت مجلسهم وإشراق كرامتهم ومنابرهم وما ينتظرون من
رؤية ربهم ، ثم طار روحك شوقا إليه لكنت بذلك حقيقا . فلما أعظم
ذلك عند عاقل عن الله مشتاق إلى ربه ورؤيته ، فتوهم ذلك بعقل
فارغ امل نفسك أن تسخى بقطع كل قاطع يقطعك عنه ، وترك
كل سبب يشغلك عن التقرب فيه إلى ربك . فلما استوى بهم
المجلس واطمأن بهم المقعد وضعت لهم الموائد ليكرم الله عز وجل
زواره بالاطعام والتفكيه لهم ، ووضعت الموائد لزوار الله عز وجل
وأحبائه من خلفه ، قامت الملائكة على رؤوسهم معظمين لزوار
الرحمن ، فوضعت الصحف من الذهب فيها الأطعمة وطرائف

الفاكهة مما لم يحسنوا أن يتمنوا ، فقدموا أيديهم مسرورين
 باكرام ربهم لهم ، لأن حقا على كل مزور أن يكرم زائر
 فكيف بالمزور الكريم الواحد الجواد الماجد العظيم . فتوهم وهم
 يأكلون فرحين مستبشرين باكرام مولا لهم ، حتى إذا فرغوا
 من أكلهم قال الجليل لملائكته : اسقوهم ، فأتتهم الملائكة ،
 لا الخدم والولدان ، بأكواب الدر وكؤوس الياقوت ؛ فيها
 الخمر والمسلى والماء والألبان ؛ فتوهم تلك الكأسات وتلك
 الأكواب بأيدي ملائكة الرحمن ، فتناولوها أولياء الله فشربوها
 فتنازع حسن الشراب في وجوه لزور ، فلما سقتهم الملائكة
 ما أمرهم الله به من الأثرية قال الجليل : اكسوا أوليائي ،
 فتوهم الملائكة ، وقد جاءت بالحلل التي لم يلبسوا في الجنة مثلها ،
 ثم قاموا على رؤوسهم فألبسوها أهل كرامة الله ورضوانه ، فتوهم
 وقد صيروها من فوق رؤوسهم حتى صارت على أقدامهم فأشرقت
 بحسنها وجوههم ، ثم أمر الجليل تبارك وتعالى أن يطبوهم ،
 فارتفعت السحاب بحسنها وشدة ضيائها ونورها لجل ألوان الطيب
 من المسك وجميع طيب الجنان ما لم يجدوا مثل رائحته ، فتوهمها

تطر عليهم والطيب يتساقط عليهم مطراً حتى علا جباههم
وثيابهم ، فلما أكلوا وشربوا وخلعت الملائكة الخلع وطيب مطر
السحاب ، شخصت أبصارهم وتعلقت قلوبهم ثم رفع الحجب ؛
فبيناهم في ذلك إذ رفعت الحجب فبدا لهم ربهم بكامله ، فلما
نظروا إليه وإلى مالم يحسنوا أن يتوهموه ولا يحسنون ذلك أبداً
لأنه القديم الذي لا يشبهه شيء من خلقه ، فلما نظروا إليه ناداهم
حبيبهم بالترحيب منهم وقال لهم : مرحباً بعبادي ، فلما سمعوا
كلام الله بجلاله وحسنه غلب على قلوبهم من الفرح والسرور مالم
يجدوا مثله في الدنيا ولا في الآخرة ، لأنهم يسمعون كلام من لا يشبهه
شيئاً من الأشياء . فتوهم وقد أظرقوا وأصغوا بسماعهم لاستماع
كلامه ، وقد علا وجوههم نور السرور لكلام حبيبهم وقرير
أعينهم ، فلو توهمت نفسك وقد سمعت قول الله لأوليائه مرحباً
بهم ، ثم طار روحك فرحاً به وحباً له لكان ذلك منه حقيراً
وصغيراً عندما توهمته من نفسك عند استماع كلامه ، فحياهم
بالسلام فردوا عليه أنت السلام ومنك السلام ولك حق الجلال
والإكرام ، فمرحباً بعبادي وزواري وخيرتي من خلقي الذين

رعوا عهدي وحفظوا وصيتي وخافوني في الغيب وقاموا مني على
 كل حال مشفقين ، وقد رأيت الجهد منهم في أبدانهم أثره لرضاي
 عنهم ، قد رأيت ما صنع بكم أهل زمانكم فلم يمنعكم جفاء الناس
 عن حقي ، تمنوا عليّ ما شئتم . فلو رأيتهم وقد سمعوا ذلك من
 حبيبتهم يذكرهم ما كانوا عليه في دنياهم من رعاية عهده وحفظه
 ودوام خوفهم منه ، وقد استطاروا فرحاً لما شكر لهم رعايتهم
 حقه ، وحفظ منهم خوفهم ، ورحب بهم محبة لهم ، إذ كانوا
 بذلك إياه في الدنيا يعبدونه ، استطارت قلوبهم فرحاً وسروراً
 إذ لم يفرطوا في طاعته ولم يقصروا في مخافته ، فاعتبطوا لما كانوا
 به لله في الدنيا يدينون من شدة خوفهم ورعاية حقه وحفظه ،
 فردوا إليه الجواب مع سرور قلوبهم بالقسم لعظمته وجلاله ، أنهم
 قد قصروا عما كان يحق له عليهم إعظاماً له واستكثاراً ، إذ أثابهم
 جنته وأكرمهم بزيارته وقربه واستماع كلامه ، فقالوا عند ذلك :
 رجزتك وجلالك وعظمتك وارتفاع مكانك ما قدرناك حق
 قدرك ، ولا أدينا إليك كل حقك فأذن لنا بالسجود ، فقال لهم
 ربهم : إني قد وضعت عنكم مؤونة العبادة وأرحت لكم أبدانكم

فطلما أتعبتم الأبدان وأكنتم الوجوه ، فالآن أفضتكم إلى كرامتي
ورحمتي فتمنوا علي ما شئتم - وفي بعض الحديث أنهم إذا نظروا
إليه خروا فيناديهم بكلامه تبارك وتعالى : ارفعوا رؤوسكم ، ليس
هذا حين عمل ، هذا حين سرور ونظر - فتوهم بعقلك نور
وجوههم وما يداخلهم من السرور والفرح حين عاينوا مليكهم ،
وسموا كلام حبيبتهم ، وأيس قلوبهم ، وقرّة أعينهم ، ورضا
أفئدتهم ، وسكن أنفسهم ، فرفعوا رؤوسهم من سجودهم ،
فنظروا إلى من لا يشبهه شيء بأبصارهم ، فبلغوا بذلك غاية
الكرامة ومنتهى الرضا والرفعة . فما ظنك بنظركم إلى العزيز
الجليل الذي لا يقع عليه الأوهام ، ولا يحيط به الأذهان ، ولا
تكيفه الفكر ، ولا تحده الفطن ، الذي لا تأويه الأرحام ، ولم
تقله الأصلاب ، ولا يبدو فيكون مطبوعاً منتقلاً ؛ الأزلي
القديم الذي حارت العقول عن إدراكه ، فكلت الألسن عن
تمثله بصفاته ، فهو المنفرد بذاته عن شبه الذوات ، المتعالي
بجلاله على مساواة المخلوقين ؛ فسبحانه لا شيء يعادله ، ولا شريك
يشاركه ، ولا شيء يريدّه فيستصعب عليه أو يعجزه إنشاؤه ، استسلم

لمظمته الجبارون ، وذل لقضائه الأولون والآخرون ، نفذ في
الأشياء علمه بما كان وبما لا يكون ، وبما لو كان كيف يكون
فأحاط بالأشياء علما ، وسمع أصواتها سمعا ، وأدرك أشخاصها
ونفذ فيها إرادته ، وأمضى فيها مشيئته ، فهي مدبرة وقربها
اختراعا فكانت عن إرادته ، ولم يتقدم منها شيء قبل وقته الذي
أراد فيه كونه ، ولم يتأخر فيه عن نهيته ، وكيف يستصعب
عليه من لم يكن شيئا مذكورا حتى كونه سبحانه الواحد
القهار .

فلما سرّ أولياء الله برؤيته وأكرمهم بقربه ونعمّ قلوبهم
بمناجاته ، واستماع كلامه ، أذن لهم بالانصراف إلى ما أعد لهم
من كرامته ونعيمهم ولذاتهم ، فانصرفوا على خيل الدرّ والياقوت
على الأسرة فوقها الحجال ترف وتظير في رياض الجنان ، فما
ظنك بوجوه نظرت إلى الله عز وجل وسمعت كلامه كيف
ضاعف حسنها وجمالها ، وزاد ذلك في إشراقها ونورها ، فلم تزل
في مسيرها حتى أشرفت على قصورها ، فلما بدت لخدمتها
وقهارمتها وولدانها بادر كل واحد منهم خدامه وقهارمته وولدانه

مستقبله من أبواب قصوره حتى أحذقوا به يزفونه إلى قصوره
وخيامه ، فلما دنا من باب قصره وخيامه قامت الحجاب رافعي
ستور أبواب قصره معظمين مجلين له وبادرت إليه أزواجه ، فلما
نظرت زوجته إلى جمال وجهه قد ضوعف في حسنه وإشراقه
ونوره ، ازدادت له حباً وعشقا ، وأشرقت قصوره وقبابه رخيامه
وأزواجه من نور وجهه وجماله ، وازدادت أزواجه حسناً وجمالاً
ووجاهة وحشمة ؛ ثم نزلوا عن خيولهم إلى صحون قصورهم ، ثم
اطمأنوا على فرشهم وهادوا إلى نعيمهم واشتاقوا إلى منادمة
إخوانهم فركبوا النجائب والخيول عليها يتزاورون ، حتى التقوا
على أنهار الجنة ففرشت لهم نمارق الجنان وزرايها على كثران
المسك والكافور ، وتقابل الإخوان على السرور والشراب ،
فقامت الولدان بالكأسات والأباريق والأكواب يفترون من
أنهار الجنة ، أنهارهم الخمر والسلسبيل والتسنيم ، فلما أخذت
الولدان الكأسات واغترفوا ليدسقوا أولياء الرحمن ، لم يشعروا إلا
بنداء الله عز وجل : يا أوليائي طالما رأيتم في الدنيا وقد ذبلت
شفاهكم ويبيست حلوقكم من العطش ، فتعاطوا اليوم الكأس فيما

بينكم وعودوا في نعيمكم فكلوا واشربوا هنيئاً مرتباً بما أسلفتم
 في الأيام الخالية . فلا يقدر الخلاق أن يصفوا سرور قلوبهم حين
 سمعوا كلام مولاهم يذكر أعمالهم شكرياً منه لهم ، وغبطة منه لهم ،
 لما ناداهم إلى معاينة الكأس للمنادمة بينهم بعد معرفتهم في الدنيا
 منادمة أهل الدنيا على خمورهم . فلو رأيت وجوههم وقد أشرفت
 بسرور كلام مولاهم واغتباطه لما ذكرهم أعمالهم الصالحة من صيامهم
 وتركهم منادمة أهل الدنيا لمرضاته ، وما عوتضهم من المنادمة في
 جواره ، وما أيقنوا به من سرورهم بمنادمتهم على الخمر والعسل
 والألبان ، فأعظم به من مجلس وأعظم به من جمع ، وأعظم به من
 منادمين في جوار الرحمن الرحيم . فكن إلى ربك مشتاقاً وإليه متحبباً
 ولما حال بينك وبينه قاطعاً وعنه معرضاً ، وابتهل في الطلب إلى الله
 بفضله وإحسانه ، وأن لا يقطع بك عنهم . وبالله التوفيق وإليه
 المصير ، والجنة مثوى المؤمنين وثواب المتقين وسرور المحزونين ،
 ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

تم كتاب التوهم بحمد الله وصلى الله على محمد النبي وعلى

آله أجمعين اللهم وفق لمن كتبه و.....